القديس وجريتا



٣٩

القديس وجريتا



دار الكتاب الجديد

القديس وجريتا



تأليف : ليسلى تشارتريس

ترجمة : فهمى شتا

القديس وجريتا

تأليف : ليسلي تشارتريس
ترجمة : حسني شتا

الفصل الاول

بعد منتصف الليل بقليل كانت فيلات مقاطعة سوبر كان تغط فى سبات عميق ، وبدت هناك أضواء خافتة قليلة تسطع فى أرجاء متفرقةطوال الطرق التى تمضى حتى أعلى التل وسط أشجار الصنوبر الشاهقة ٠٠ ولاح رجل فوق احدى الفيلات راح يتلفت حوله ، وبدا أنه كان مرتديا ملابس داكنة ، وقد غطى رأسه ببيريه ولم يكن الرجل يرغب فى مشاهدة الخليج القابع على مرأى من نظراته بل كان يتفحص المبانى المحيطة به وخاصة ذلك المبنى الذى يقف فوقه ٠ ولو أن أحدا أبصر به لكان ذلك مدعاة لفراره ، ولكن الامور سارت بطريقة مرضية .

وأدرك الرجل أن الهدوء يخيم على فيلا هسيبانيولا ، فأخذيلوح بيده بحيث يمكن مشاهدة اشاراته ، ومالبث أن أطلق صفيرا خافتامن بين أسنانه وعلى التو أسرع رجل آخر يلحق به للقيام بالمهمة وسأل أحدهما زميله :

ــ والان ؟

وقاطعه الاخر بقوله وهو يخرج من جيبه بطارية كهربائية :

ــ يمكننا المضى ..

وأضاف هامسا لزميله الذى كان قد اقترب من احدى النوافذ الكائنة فوق السطح :

ــ عليك بتفادى الاتلافات بقدر الامكان ٠٠ أفهمت ؟

ــ ماالذى تقوله يانينو ٠٠ اننى لم أولد بالامس وكأنك تعتقد بأننى لا أتقن عملى ؟

ــ لا داعى للمناقشة ياريمون ٠٠ ولوأن آل انجرام ساورتهم الهواجس الليلة لسعوا الى مطاردتنا ..

وانحنى المدعو ريمون يعالج الباب مستعينا بآلة حادة

أخرجها من ملابسه وهنا قال له نينو محذرا :
ـ هل لبست قفازيك ..
ـ انها تحد من حركتي وتضايقني ..
ـ لعلك تعلم اذ أن العثور على بصماتك سيجلب لك المزيد من المضايقات .. واما الاستعانة بالقفاز فسيجعل رجال الشرطة يقضمون أظافرهم ..

ومضى ريمون يواصل مهمته بلا توقف ، وكان الرجل رث الثياب غير قوى البنية ، تبدوأكتافه ضامرة متهالكة وكأنهاتحمل أثقالا كبيرة يئن تحت وطأتها الرجل ، فى حين كان شعره الاسود الطويل ينسدل فوق وجه طويل ذى جوانب غائرة ، وأما حول عنقه فكان يلف منديلا أخضر اللونوخلاصة الامر كان شبيها بأحد تلك الكلاب التى تتواثب وسط العربات .

وقال زميله الذى كان يضع أسفل قدميهحقيبة كبيرة يحثه : ـ أسرع ..

وتمتم ريمون : ـ ـ انتظر قليلا .. ولعلك تذكر بأنك طلبت منى عدم تحطيم النافذة .. وعلى كل .. فها هى قد فتحت ..

وفى صمت دلفا الى القاعة التى كانت تمتد بطول الشرفة الواقفة بأعلى البيت ، واستطاعا على الشعاع المنبعث من البطارية مشاهدة الاثاث الفاخر وكذا اللوحات المزدانة بها الجدران ، وراحا يقرآن التوقيعات المختلفة اسفل كل لوحة : ماتيس ، جوجان ، مونين سيزان ، واسترعى انتباههما احد الاركان . واتجه اليه نينو الذى كان يبدو انه الرئيس ، وهناك ابصر بلوحة تمثل الطبيعة الايطالية وبها رجل وأمرة مجردان من الملابس ويبدو عليهما الهلع خوفا من تلك السحابة التى تطاردهما محملة بالامطار ..

وصاح نينو فرحا : ـ هاهو ٠٠

ويبدو ان زميله لم يكن شغوفا باللوحات ولذا فقد سأله مستوضحا :

ـأهو مايكل انجلو الذى تسعى وراءه ؟

وأجاب الاخر مؤكدا : نعم ٠٠ أنه هو ٠

ـ لا أظننى أدفع فيها الكثير ٠٠ وأخيرا ٠٠

وكان ريمون قد مد ذراعيه للامساك بالاطار عندما قال له نينو محذرا :

ـ عليك بالحذر .. فاللوحة ثمينة .

ـ كن مطمئنا ٠٠ ولا تخش شيئا على لوحتك ٠٠ ولعلك لا تكتفى بها فقط من كل هذه النفائس ولتنظر فيما حولك لمشاهدة كل هذه اللوحات الرائعة ٠

وتناول نينو اللوحة ووضعها فوق مائدة وراح يتأملها بترو متفحصا ما بها منتفاصيل ودقةوروعة فى اللمسات واتقان الالوان ومالبث أن صاح بزميله :

ـ أيها الاحمق ٠٠ ألا تدرك بأن لوحة مايكل انجلو هذه تقدر باكثرمن وزنها ذهبا ٠٠

وبدقة متناهية عملا على قلب اللوحة وقد انحنيا فوقها دون أن يدركا مايجرىفى الخارج من أمور ٠ فقد كانت هناكسيارة ليموزين دلفت الى الحديقة واتجهت فى حركة دائرية ناحية الجراج الذى انفتح امامها من تلقاء نفسه ٠٠ وبالمثل أضيئت ارجاؤه اليكترونيا ٠٠ وماهى الا لحظات حتى كان الباب ذاته ينسدل ثانية دون أ أن يتدخل احد للقيامبذلك ٠٠ وكانت العربة تحملاثنين ٠٠ رجل وامرأة شابة .. أما و فقد كان وجهه ينم عن القوة شأنه شأن من اعتادوا مواجهة الامور الشاقة وكان فمه يدل على قوة الارادة والعزم ٠٠ وأما المرأة فقد كانت

رقيقة ·· وكانت ترتدى معطفا خفيفا اذ كانت أورورا تتفادى أدنى النسمات الباردة وقالت هامسة :
ـ ان النعاس يراودنى يابوب ···
ولم يرد عليها زوجها انجرام بكلمة اذ كانت عيناه متجهين ناحية لوحة مزودة بمصابيح كهربائية واقترب من اللوحة وقال لزوجته :
ـ أن هناك من أعطب جهاز الانذار ·· الـذى يـدل عليه هذا ؟
وأسرع ناحية التليفون المعلق فوق الجدار ·· ووجده مقطوع الحرارة ·
لقد قطعت أسلاكه أو نزعت ·· قفى هنا أورورا ··
ـ لا ياعزيزى ·· سأكون خائفة جدا ·· اننى أفضل أن أصحبك ·
ووافق على مضض، وبدلا من أن يبدأ بداخل الفيلا قرر أن يمضى الى السطح دون أن يدرى بأن فى ذلك خلاص الزائرين الغامضين · وكان نينو قد لاحظ الحفيـف السريع لباب الجراج وعلى التو كان قد استعد لاية مفاجآت :
ـ أسرع ·· فقد استمعت الى شىء ما ···
ورفع ريمون رأسه التى كانت منكبة فوق لوحة مايكل انجلو وقال بغضب :
ـ سيكون أمرا يؤسف له ·· لقد أخبرتك بأنه ··
ـ علينا أن نسرع بالفرار ·· نعم ·· اعطنى ··
وأمسك باللوحة التى كانت قد نزعت من الاطار وقال وهو يشير بقدمه ناحية الحقيبة :
ـ عليك بفتحها واخفاء اللوحة فيها ·
واستطاعا وسط سكون الليل أن يمسكا بكلمـات أورورا :

ـ لا تتركني وحدي يابوب ·· والا قتلني الرعب ·

ودفع نينو بزميله وهو يحثه قافزين ناحية النافذة ، وفي تلك اللحظة أبصرا بطيف انجرام الذي كان يساند زوجته عند الحافة الاخرى للسطح ·· ودفع نينو ريمون للاتجاه ناحية الركن الاكثر ظلاما ·· وكان عليهما أن يسرعاخشية اكتشاف أمرهما ، ولذا فقد ألقيا بأنفسهما من أعلى ليتواريا بعد ذلك بين الاعشاب واستطاعا أن ينصتا الى الاصوات التي كانت تنبعث من أعلى ··

ـ انظري الى النافذة ياأورورا ·· ألا ترين ·· انها مفتوحة لا شك أن أحدا فتحها ··

وبعد صمت قليل سمعا من يصيح : ـ مايكل أنجلو ؟

وأمسك نينو بذراع زميله وهو يقول له :

ـ لنسرع ·· انهما الان منهمكان ولن يلتفتا الينا ·

وأسرعا يسعيان الى النجاة وسط الظلام الحالك ، يساعدهما على ذلك تلك الاحذية الخفيفة التي لا تصدر أدنى صدى ، وهكذا عبرا الباب الخارجي وأمسك نينو بالاخر قائلا :

ـ لا داعي للعجلة الان ·· والا أثرنا انتباه أي سيارة عابرة ··

ولم تعترضهما اية عربة او احد المتجولين للحيولة دون فرارهما ·· وتمكنا من بلوغ المنحنى الاول للطريق حيث كانت عربتهما مختبئة وسط غصون الاشجار ·· وكانت عربة عادية تحمل العبارة التالية « خضروات بالجملة » ··

ـ اننا سنتخلى عن العربة في ميدان كارنو ·

وقال ريمون متسائلا : ثم ؟

ـ علينا باختطاف أخرى صغيرة ·· ثم نتركها في

مكان آخر ·· ولا داعى للقلق فلن نلبث غدا أن نصبح أثرياء ··

وواصل الرجلان الطريق وقد آحس نينو بأن المهمة قد أصبحت منتهية فيما يتعلق به وفى تلك الاثناء كانت أورورا تذرف الدموع وقد راح زوجها يذرع المكان حائرا حزينا وهو يعاود النظر الى الركن الخالى الذى اختفت منه اللوحة ·· والرغبة فى العمل تطارده ··

وأخيرا قال لامرأته : —

— اننى ذاهب للاتصال تليفونيا من عند أحد الجيران ··· ابقى هنا ·

وصاحت المرأة : لا ··

ولكنه غضب لهذه الامور الصبيانية : ليس هناك ما يتهددك ·· فلقد رحلوا وعلى أن أقوم بابلاغ الامر الى الشرطة ··

وغادر المكان ·· وأسرعت الزوجة متجهة الى غرفتها حيث أغلقت البابباحكام ، ولم تمضعشر دقائق حتى كانت الصفارات العالية تشق السكون معلنة عن قدوم الشرطة ·· وكان انجرام فى طريقه للعودة بينما بدأ الجيران يستيقظون ويتنادون ·

وأسرع رجال الامن ينقبون فى أرجاء الفيلا ، وقد راح بعضهم يبحث عن اية آثار فى الحديقة وفى اعلى البيت ، بينما أخذ آخرون يتفحصون بدقة الدور الارضى ·· فى الوقت الذى أخذ أحد الخبراء يتمعن فى الاخشاب والجدار والاطار ·· ومضى البحث مرتبا بينما كان انجرام ثائرا وهذا ما دفعه لان يصيح : —

— ماذا تنتظرون ؟ ·· أتظلون هادئين حتى يذهب اللص بعيدا عنكم ؟

ورد عليه أحد الرجال نيابة عن زملائه :

ـ اننا لا نضيع الوقت سدى ياسيد ٠٠ وعلى كل ٠٠
وعندئذ قاطعه أحد المتحدثين بقوله :
ـ دع لى الامر يادوران ٠
وعلى حافة الباب كان يقف رجل قصير ، يتوسط وجهه البدين شارب رقيق ، يضع فوق عينيه نظارة ، ولقد تسلل القادم وسط الحاضرين وكأن احدا لم يلتفت اليه ينم عنه مظهره وقال مقدما نفسه :
المفتش العام جاكسون ٠
ـ وتمتم انجرام مرحبا بالرجل ولم يلبث أن قال له :
ـ وأخيرا أيها المفتش لعل الوقت لايطول حتى استرد لوحتى ٠
وقاطعه الشرطى بلهجة رقيقة :
ـ ارجوا المعذرة يا سيد انجرام ٠٠ اننى لا أملك أن أرد على هذا السؤال ٠٠
أظنك تشكو من سرقة احدى لوحاتك ٠٠
ـ نعم ٠٠ وهى لمايكل أنجلو ٠٠ واذا ما ٠٠
وأردف المفتش قائلا : ـ وهذا كل ما سرق ؟
ـ نعم ٠٠ لا شىء سوىهذه اللوحة ٠٠ التى كلفتنى أكثر من مائتين وخمسين الفا من الدولارات ولعل الامر لن يعنيكم كثيرا خاصة وأننى امريكى الجنسية ٠٠
وكانت الزوجة قد قررت مغادرة غرفتهابعدما أحست بالاطمئنان لوجود هذا العدد الهائل من الشرطة ، وكانت تبدوا خائفة واستدارت تقول للمفتش :
ـ عليك بالقيام بشىء أيها السيد ٠٠ اننى أتوسل اليك أن تفعل ٠٠فلقد كان زوجى متعلقا جدا بهذه اللوحة ٠٠
وقال المفتش الذى كان يبدى اهتماما اكبر عندما تكون الحالة متعلقة بأحد الاجانب

ـ عليك بالتزام الهدوء ياسيد انجرام وأنت كذلك ياسيدتى ولتكونا على ثقة بأننا لن نتوانى عن القيام بما يحتمه علينا الواجب ..

ولاحت على وجهه ابتسامة تحمل من المرارة أكثر مما هو بشاشة وأضاف :ـ

ـ اننا لن ندخر جهدا ولسوف ينتهى نضـالنا بالنصر ..وهذا ما أحب تأكيده لكم .. خاصة وأن مثل هذه السرقات ..

وقطب انجرام حاجبيه وبدا أشبه بملاكم يتـأهب لمواجهة خصم عنيد .

ـ ألا أو ضحت أيها المفتش ..

ـ اننى أعود فأؤكد لك بأننا ننوى استعادة كل هـذه المسروقات الثمينة .. ولسوف نتمكن من هذا ان عاجلا أو آجلا ..

وردد الرجل الامريكى « المسروقات الثمينة » ؟ .. ثم أضاف بلهجة شرسة :

ـ هل أفهم من هذا انها ليست السرقة الاولى من هذا النوع ؟ وأن هناك حوادث أخرى متشابهة ؟

ـ نعم يا سيد .. ويبدو أن السارقين ينتهزون غياب الافراد عن بيوتهم للقيام بسلبهم أثمن ماعندهم ..

ـ ولماذا لاتحذرون منذلك وتذيعون الامر فوق صفحات الجرائد ؟

ـ هذا ما قمنا به بعد وقوع السرقة الاولى ، ولكن بعد أن تعددت حوادث السطو قررنا تكتم الامر بعد أن حذرنا أصحاباللوحات الغالية بالتحفظ عليها داخل أماكن أمينة ..

وتطلع انجرام الى وجه محدثه وعندئذ أمسكت زوجته بذراعه ولكنه انفجر ساخطا :

ـ كلهم ما عداى ؟
ـ وكيف لى ان اعلم يا سيد بأنك تمتلك لوحة ثمينة ؟
ـ لقد تمكن اللصوص من معرفة ذلك ٠
ـ ان اللصوص يدركون مثل هذه الامور أسرع منا ٠

وكان انجرام قد بدأ يسترد هدوئه ٠٠ وما لبث أن تنهد بمرارة :

ـ وعلى كل فقد كنت مؤمنا على لوحتى ٠٠ واننى لاتساءل عما يمكن لهؤلاء الجناة أن يفعلوا بلوحة كهذه يعرفها الجميع ٠٠ ؟ وما أظن أحدا يقوم بشرائها ٠٠ وخاصة وأن شركة التأمين ستقوم باخطار العالم كله بحادث السطو ٠

وهز المفتش رأسه وبدت عيناه الخاملتان تتساءلان بجدية :

ـ ماذا سيفعلون بها ؟ ٠٠ ان هذا هو ما أردده ؟ ٠٠ كما فعلت عند السرقات الاخرى ٠٠ ولكم أود أن أعرف ذلك ٠

وسألته أورورا : ـ والان ؟

ـ لا أظننا سنتخلى عن الاهتداء الى الحل ؟ ولكن من هذا الذى يقدم لنا المفتاح !

الفصل الثانى

كانت أرجاء محطة كان تزدخر بالمقاهى العادية ٠٠ وهناك كان يجتمع معتادو المراهنات للتحدث عن مدى ما أدركوا من نجاح ، وكذا كان يتردد على المكان تلك الوجوه ذات الطابع الخاص والتى ما كان المرء ليعرف حقيقة ما تخفى ٠٠

وفى تلك اللحظة الصباحية كانت احدى شرفات احدى تلك المقاهى خالية الا من رجل يجلس أمام مائدة وقد أخفت المظلة المنشورة فوقه ملامح وجهه ٠٠ وكان منهمكا فى قراءة صحيفة نيس ماتان وقد علت وجهه ابتسامة عريضة ٠٠ ولقد كان فى شعر الرجل الاشقر الذى دب اليه البياض ما جعل ملامح أونا شميدث تبدو قاسية ٠٠ ونظرا لانه كان يختلس النظرات فقد فطن الى الرجلين المقبلين عليه وقد كان أحدهما وهو نينو يمسك بحقيبة ثقيلة وقد بدت عليه امارات السعادة ، وما لبث أن أشاح بذقنه تجاه المقهى وهو يقول :ـ

ـ لقد باتت الثروة قريبة ياريمون :

وما أن أبصر ريمون بالرجل الذى أشار اليه زميله . حتى ابتسم ، فلم يكن يطمئن للتعامل مع هؤلاء الاشخاص الذين يعيشون فى الاقاليم ، الطوال القامة ، العريضى المنكبين ، ولذا سأل صاحبه :

ـ ومن يكون هذا الرجل ؟

ـ انه زميل ، ولقد كان يشتغل بالملاحة حتى كان ذلك الحادث الذى سرق خلاله البيت القريب من نابلى بالاضافة الى تلك القضية الخاصة بالتبديد والاسراف فى مصروفات شركته ٠٠ وهكذا ترى أن هؤلاء القضاة لا يدركون شيئا ؟ ٠٠ هيا بنا ٠٠

ووقف أمام المائدة ، وعندما رفع الاخر رأسه قام بتوجيه التحية له بطريقة ساخرة :

ـ أنعمت صباحا يا أوتا ٠٠

ولم ينتظرا حتى يجيب الرجل واتخذا مكانهما أمامه ٠٠ وحضر اليهم نادل ما لبث أن ابتعد بعدما عرف ما يبغون من مشروبات ٠٠ وظل الثلاثة ملتزمين

بالصمت ·· وعاد الشاب حاملا اليهم المشروبات فوضعها أمامهم متعجلا حتى يعود لمتابعة الاراء المختلفة حول سباق كان ·

وتطلع أوتا الى زميليه وقال : ــ والان ؟

ــ ستكون مسرورا راضيا ·

ــ نعم ·· فلقد أدركت ما جرى من الصحيفة والامر لا يبدو ذو اهمية كبيرة ..

وقال نينو ضاحكا : ــ ألا تدرك ما يرمى اليه رجال البوليس ؟ انهم يهدفون الى الاقلال من شأن الحادث حتى تتركهم الصحافة يعملون فى هدوء ·· وأما بالنسبة لنا فلا يوجد سوى اللوحة ·· والان الينا بالنقود ·

وهز الامريكى رأسه الكثيفة الشعر وقد لمعت فى عينيه الغائرتين نظرة ماكرة :

ــ علينا بلعب البوكر ·· فهذا ما يجب أن يلجأ المرء اليه عندما يتعلق الامر بالسداد ·· وقال له الاخر :

ــ محال ؟ ·· هل ترتاب فى الامر يا أوتا ؟ ·· أنسيت كيف كنا نعمل معا فى نابل ؟

وانحنى الثلاثة يتبادلون النظرات وتسللت يد ريمون الى جيبه وأطبقت أصابعه على مطواه كان بامكانه جعلها معدة للاستعمال فى لحظات ·· وقال أوتا وهو يضغط على أسنانه : ــ

ــ فلتعلم يا نينو اننى لا أثق فى أمى فى مثل هذه المعاملات ·· أترى ؟ ·· انك تسعى للحصول على المال وأما أنا فأرغب فى فحص الشىء ··

ورفع نينو الحقيبة وكاد ريمون أن يحول دون ذلك وهز رأسه ·· وقرر أن يعمل كما هو حال زميله على الفتك بالرجل الامريكى اذا كان ينوى الايقاع بهما ··

ــ أنظر ولكن عجل ·

وشرع أوتا فى فض الحقيبة وانحنى يتأمل ما بها ، وكان قد حصل على معلومات محددة تجعله بعيدا عن أن يذهب فريسة للخداع ..

وقال له نينو بلهجة غاضبة : ـ

ـ ما تظننى يا أوتا فاعلا بهذه اللوحة ؟ .. ما أظن احدا يمكن أن يفكر فى شرائها منى .. ولئن كنت قد علمت على سرقتها فذلك لان هناك من كان يريدها .. أليس كذلك يا أوتا .. وقد كنت أنت ذلك الرجل الذى يسعى وراء هذه اللوحة ؟ ..

وقاطعه الامريكى : ـ هذا صحيح .. ولكن يمكن تقليد اللوحة واعطاؤها للعميل .. اذا ما كان احمق .. وأغلق الحقيبة دفعة واحدة وأخرج من جيبه مظروفا ومضى يقول :

ـ ان الثمن بداخله ..

وصاح ريمون : ـ ألا وافقت أن نراجع نحن أيضا المبلغ ؟

وكان نينو قد شرع فى التأكد ما بالمظروف من مبالغ وما لبث أن قال : ـ

ـ ان المبلغ صحيح .. والان هل ذكرت لى كيفية نقلك للوحة ؟

ـ ان الامر لا يهمك .. وكذلك زميلك .. حسبك أننى قمت بالدفع لكما .. أليس كذلك ؟

وقال له نينو متضايقا : ـ حسنا .. حسنا .. ولكننى اعتدت التعامل مع قوم أكثر ثقة ..

وكانت لهجته عدائية وهذا ما جعل أوتا شميدت يكشر عن أنيابه ويقول : ـ

ـ لا تحاولا التدخل فى شئونى .. وبما أظننى بحاجة اليكما بعد الان .. خاصة وان القطار الذى ستستقلانه

سيتحرك بعد خمس دقائق .. ولتغادرا هذه الارجاء بأسرع ما تستطيعان فمن يدرى أن الشرطة ربما اكتشفت أمركما .. رغم ما لجأتما اليه من احتياطات ؟..

وهب نينو واقفا وتبعه ريمون .. وبدا الامريكى راضيا وهذا ما جعله يقول لهما :

ـ اذا ما كنت بحاجة اليكما ثانية فأحسب اننى أعرف مكانكما .. طابت ليلتكما ..

وتمتم نينو : طاب مساؤك .

وابتعدا سويا وأوتا شميدت يراقبهما عن كثب .. ولم يحاول أن يتحرك وانما لبث مكانه مسترخيا وكأنه يستعد لامور قادمة .. تباطأ نينو فى خطاه لحظة دخوله المحطة وتمتم يسب لاعنا بصوت خافت وهذا ما ادهش ريمون :

ـ مم تشكو بعدما انتهينا من الامر بنجاح ..

وقال الاخر : ـ حقا .. ولكنى كنت أرغب فى تعقبه ومعرفة وجهته ..

واستطاعا أن يبصرا بأوتا من خلال نوافذ صالة المحطة .. وكان مازال جالسا لا يتحرك وكأنه لا يعبأ بما يدور حوله .

ـ أترى ياريمون أننى أخشى أن يكون قد سخر منا .. ؟ ولعله اعطانا مبلغا ضئيلا عن هذه اللوحة التى تساوى الكثير والكثير ..

ـ اذن فليس أمامنا سوى الانتظار وبالتالى نتمكن ..

وصاح نينو : ـ لا وهو يدفعه ناحية الرصيف الذى كان يتردد خلاله صوت المذيع معلنا قيام القطار السريع متجها الى آنتيب ، نيس ، فنتيميل ، جنوا ..

واستطاعا أن يقفزا الى القطار الذى كان قد بدأ فى التحرك .. وعندئذ قال نينو لزميله معللا سبب اسراعه :

ـ لقد أبصرت بالمفتش جاكمون يغادر سيارته أمام المحطة ·

كان أوتا شميدت قد لاحظ هو الاخر سيارة الشرطة وكذا الرجل القصير الذى غادرها ، ولكنه لم يكترث للامر فما كان احد ليجرؤ على ان يتطرق اليه بالظنون ، وبلا عجلة غادر المكان متجها الى الميناء وقد أخذ يطوح بلا اكتراث الحقيبة التى تضم اللوحة الثمينة ·· وما أدرك القارب السريع الذى يخصه حتى نزل اليه وراح يمضى بمحاذاة الرصيف مبتسما مرة الى فتاة كانت راقدة فوق سطح احدى البواخر أو مازحا مع أحد البحارة ممن كانوا يقومون بتنظيف سلم احدى البواخر ·· وأخيرا توقف قرب يخت رائع تدل مقدمته على ما يتمتع به من سرعة فائقة ، وبه فوق غرفة القيادة شبكة رادارية ، وأما فى مؤخرته فكان ساحة فسيحة مخصصة للنـزهات والاستقبالات والاسترخاء ·· وكانت هذه هى صورة يخت المورننج ستار ·· وما أن عبر أوتا القنطـرة الصغيرة حتى ابتدره بحار كان ينظف الاجزاء النحاسية فوق القنطرة بعد ما هب محييا اياه بقوله :

ـ أنعمت صباحا يا كابتن ·· لقد سألت عنك الاميرة مرات عديدة ·· وكانت تستفسر عن عودتك ؟ ··

وقال له القادم : ـ شكرا ··

واتجه الى غرفته التى تعلـوها لافتـة دون عليها (الربان) ·· وبسرعة تخلص مـن مـلابسه العادية · وما هى الا لحظات حتى كانت المرآة العاكسة تعكس رجلا آخر يرتدى زيا به أزرار ذهبية وأشرطة على أكمامه ·· وبدا شميدت مزهوا بملابسه ، وغادر غرفته متجها الى القاعة الواقعة فى الجهة الخلفية مـن اليخت .. وهناك كان يجلس اثنان : رجل وامرأة ..

وأما الرجل فيقارب العقد السابع من العمر ، تتخلل ملامحه التجاعيد العديدة التى توحى بأنه من أولئك القوم الذين يقضون لياليهم امام موائد القمار ، فلا يزايلونها الا ساعة الفجر ، وما كان هذا الكهل الا الامير ديمترى لينفيف ·· أما الاميرة فقد كانت على النقيض منه رائعة الجمال ·· متدفقة العاطفة ، تبدو مستعدة لبذل نفسها لمن يروقها وأن أمسكت عن ذلك فى اللحظة الاخيرة ·· وكان شعرها الذهبى يغطى أكتافها كما لو كـان بحـرا لامعا ·· وكانت فى تلك اللحظة جالسة فوق أحد المقاعد وقد ارتدت ثوب الاستحمام الذى يكشف عن نهودها ·· وتفحصت المرأة القادم ولم تتفوه بكلمة بل راحت تنفث دخان سيجارة مثبتة بطرف مبسم من الصدف الاصفر ·

وقال شميدت : – أرجو المعذرة يا سيدتى فلقد تأخرت قليلا بعد ما رأيت أن من الافضل التريث قليلا قرب المحطة ·· لقد انتهى الامر ··

وانفرجت الشفاه الجميلة عن ابتسامة باهتة جعلت مجموعة من الاسنان اللامعة تتراءى ··

– نعم يا سيدتى ··

– حسنا ··

– حسنا يا أوتا ·· هل الشىء معك ؟

وكان الامير واقفا قرب المكتبة المليئة بالمراجع العديدة ·· وكان يغلى غيظا ولم يلبث أن قال :

– عم تتحدثين ؟ ·· وما مغزى هذه الالغاز أيها الربان ؟ ·· لقد كان يتعين عليك أن تكون هنا فى العاشرة ·· أين كنت ؟ ·· ألا قـدمت لى تعليـلا لذلـك ·· ؟ لا تنس من أكوان يا بنى ؟ ··

وخيم الصمت ·· ولم يكن شميدت قد نطق بكلمة ·· واستدارت الاميرة ناحية زوجها وابتسمت قليلا ثـم

أضافت بلهجة جادة :
ـ حقا ؟ ان الامير يطلب ايضاحا وهذا ما يدهشنى ٠٠ أتراك فقدت الذاكرة يا عزيز ؟ ٠٠ ألا تدرك بأنك كنت تمضى حياة بائسة تسعى الى لقمة قوتك بالكاد ، وأننى عملت على استخدامك لاداء هذا الدور ؟٠٠
وقال الرجل بتخاذل : ـ اننى أعلم ٠٠ نعم ٠٠ دور زوجك الثرى ٠٠
ـ هذا صحيح يا عزيزى ديمترى ٠٠ ولتدرك اذن بأنك تقضى هذه الحياة المترفة هنا تحقيقا لارادتى .. وعليك اذا ما نسيت أن تبحث لك عن عمل آخر ٠
وضغط الكهل على قبضتيه بقدر استطاعته وكان موقفه يدعو للشفقة وقال لها سائلا :
ـ أظن أنه يحق لى أن أعرف ما تقومين به متذرعة بلقبى ٠٠ ولعلك أنت أيضا تذكرين بأنك أمام الجميع تمثلين الاميرة لينفيف ؟
وصاحت به ، ـ ما هذا ؟ ليس أمامك سوى الالتزام بالصمت يا ديمترى ٠٠
ـ واذا ما ٠٠
ـ لا شىء .. عليك فى هذه الحالة الا ان تعود الى حياتك الاولى ومعك لقبك الذى تتمسك به ..
كان شميدت قد ظل صامتا حتى الان ٠ ولكنه لم يلبث أن قال للرجل :
ـ ما هذا ايها الامير ؟ .. العلك تصبو الى حياتك الاولى ؟٠٠
ويبدو أن هذا التدخل لم يرض الاميرة التى صاحت :
ـ كفى يا أوتا ٠٠ اننى لا أرضى لاى كان هنا أن يتصرف كما يحلو له ؟ ولا ننس انكما انتما الاثنين تعملان فى خدمتى ٠٠ وليس أكثر من ذلك ٠٠

كاد أوتا أن يعترض ولكنها قاطعته بقولها :
ـ انك مثله تماما يا أوتا شميدت ٠٠ ولا تظن نفسك افضل منه وان كنت اكثر ذكاء .. ولا تعمل على مناقشتى ٠٠ والان فلتعد الى عملك ولتعمل على مغادرتنا للميناء ٠٠ وانني لاحب أن يتم ذلك بسرعة ٠٠

وما هى الا لحظات حتى كانت الحركة تدب فوق اليخت معلنة بدء تحركه فى مغادرة الميناء،وكانت الشمس الغاربة تبعث بأشعتها الحمراء مشهدا رائعا ، ولكن الاميرة لم تكن مبهورة بالمشهد اذكانت تراودها أمور أخرى أكثر جدية ٠٠

الفصـــل الثالث

مضت السفينة لا تلوى على شيء متجهة صوب سانت مارجريت ، وكان اوتا واقفا فى غرفة القيادة يراقب الاجهزة عندما لاح شبح قادم ، وعندئذ ادار رأسه قليلا ليقول لمن كان يتولى أمر توجيه اليخت :

ـ سأتولى مكانك فاذهب انت الى غرفة الماكينات ٠

واختفى الرجل وابتسمت الاميرة وتقدمت حتى لامست الامريكى ، ومضت لحظة صمت قام الرجل بعدها بوضع يده فوق كتفها العارى وما لبث أن انحنى لتداعب شفتاة عنقها الذهبى ، ولم تحرك المرأة ساكنا وقال لها :

ـ ما الذىيجعلك تقسين على هذا العزيز أوتا ؟ ألسنا متورطين فى قارب واحد ٠٠ ؟

ـ ربما ٠٠ ولا أظن ان ذلك يهبك ميزة خاصة ٠٠ ولتتذكر هذا يا أوتا ٠٠ هذا بالاضافة الى أننى لم أتفحص ما قمت باحضاره اليوم ٠٠

وأمسكت بعجلة القيادة بين يديها ٠ ومضى أوتا يتأملها وقد أحس برغبة فى أن يضربها حتى تدرك بأنه لا يقبل أن يعامل كتلميذ صغير ، ولكنه يعرفها ويخشى ثورتها العارمة ، خاصة وأنها ومنذ وقت قليل وخلال عبورهم المحيط كانت قد أمرت بالقاء بحار فى عرض البحر بعد أن رفض اطاعة أمر لها ، فنفض عن نفسه ما يجول برأسه ٠ وما هى الا لحظات حتى كان قد ذهب وأحضر الحقيبة من غرفته وقال لها :

ـ هذه هى اللوحة ٠٠

وبحرص بالغ قام باخراج اللوحة المسروقة من انجرام ٠٠ وتركت الاميرة ما بيدها وتناولت اللوحة ٠٠ وظلت لفترة طويلة تتمعن فيها لتتأكد انها الصورة الاصلية ٠ وكان انجرام من ناحيته قد الصق بخلفية اللوحة شهادة من الخبراء فى هذا المجال للدلالة على أنها غير مقلدة ٠٠

وقالت المرأة : ـ انه عمل رائع ياأوتا ـ الم يترك رجالنا أية آثار تدل عليهم ؟٠٠

لا اعتقد انهم فعلوا .. خاصة واننى قد اعطيت لهم الارشادات الكافية وهم الان فى الطريق الى ايطاليا ..

ـ حسنا ٠٠ علينا الان بنزعها من الاطار الخشبى وايداعها المجموعة ٠٠

واقترب أوتا من كوة قريبة وأخذ يتطلع الى الخليج الذى تعبره السفينة الان وقد انتشرت حولها بعض اليخوت الشراعية ، وكذلك احدى البواخر التى تتجه الى سانت مارجريت ٠٠ وفجأة قال بصوت خافت :

ـ ما الذى يحدث هناك ؟

ولحقت به الاميرة واشار الى نقطة بعيدة كانت تكبر وتنمو خلفهم وأضاف :

ـ علينا بمضاعفة السرعة لمغادرة المياه الاقليمية ٠٠ والان وداعا يا كان ٠٠

ولم يكن مخطئا فقد كان الذى يتبعهم أحد قوارب الشرطة ، وبلهجة متشائمة تمتم :

ـ لو أن الرجلين قررا أن يتكلما ٠٠

كانت ملامحه قد تبلدت فى حين ظلت الاميرة هادئة ومضت تحرك كتفيها الجميلين العاريين :

ـ فلتلزم الصمت يا أوتا ٠٠ ولا داعى لهذا الانفعال الذى لا يجدى أبدا ٠٠ لا شك أن الامر لا يتعدى مرورا عاديا ٠٠ ولو أننا غادرنا كان بنية عدم العودة لاثار هذا تكهنات الشرطة ٠٠

وتناولت المرأة أداة لينة ومضت تنزع اللوحة من الاطار ٠٠ ولم يستغرق ذلك طويلا ، وعندئذ أصدر الربان شميدت تعليماته بالحد من سرعة اليخت ٠٠ خاصة وأن زورق الشرطة كان قد اقترب ، وقد وقف على حافته رجل قصير يتابع عملية الاقتراب وقالت :

ـ أريد انبوبة ٠٠ حالا ٠٠

وفى أحد الاركان كانت هناك معدات للصيد تحت الماء واتجه اليها أوتا وقام بانتزاع احدى أنابيب الهواء المضغوط .. وظلت الاميرة تراقبه وهو يفعل وقد علت شفتيها ابتسامة ساخرة ٠٠ وفى ذلك الوقت كان اليخت قد قلل من سرعته وبات ينساب بهدوء فوق الماء وهناك فوق السطح كان صوت الامير يدوى :

ـ هل يمكن معرفة سبب ذلك التفتيش ؟ ٠

وكان هناك من أجابه بصوت خافت لم تتمكن الاميرة من سماعه ولذا فقد أعطت الاطار الخشبى للامريكى وهى تقول له :

ـ عليك باخفائه ·· وفى تلك الاثناء سأذهب لمقابلة رجال الشرطة ··

وأسرعت الى أعلى واستعانت بسلم لتجد نفسها أمام رجل قصير القامة يرتدى الملابس المدنية ، وقال القادم مقدما نفسه :

ـ اننى المتفش العام جاكمون من كان ·· واننى لارجو المعذرة لازعاجكم ·· وما أظن الامر يتعدى النزهة أليس كذلك ؟··

وقالت له الاميرة مؤكدة : ـ بالتأكيد .. ولو أننا كنا ننوى مغادرة كان لفترة طويلة ·· لاخطرنا ادارة الميناء بذلك ··

وتنهد الشرطى : ـ اننى أرى ·· وأرجو المعذرة يا سيدتى وأنت كذلك يا سيدى ·· وما هذا الا تفتيشا عاديا بعدما تعددت حوادث السطو فى المنطقة ·· و ···

وجال الامير دون قيامه بالمضى فى الحديث بأن قاطعه متسائلا :

ـ حوادث السرقة ؟ ·· وما شأنى بها ؟ ·· الهـذا السبب حضرت لزيارتنا ؟ ·· وعلى كل فلن نعترض على ذلك ·· وان كنا نحتج عليه ··

ومضى الامير الكهل بعيدا وقد استشاط غضبا ·· بينما أردفت الاميرة :

ـ أرجوك يا سيد جاكمون ألا تعلق اهتماما على هذا الحادث ·· فلقد عانى زوجى كثيرا من هذه الامور ، ولذا فانه يصاب بالمرض لدى سماع كلمة الشرطة ·· وهو يأخذ ذلك على أنه مساس بشخصه ·· وعليك بالقيام بواجبك والبحث فى اليخت كما يحلو لك والمكان كله رهن اشارتك ··

وظهر شميدت وتقدم صوبهم بخطوات ثابتة ، والقى

بنظرة تجاه الاميرة أدركت مغزاها وما لبثت أن قالت له :
ـ يا كابتن عليك أن تقدم العون للسادة ·· ليقوموا بزيارة كافة أرجاء اليخت وألا تغلق أمامهم مكانا ·· أسمعت ؟
ـ حسنا يا سيدتى ··
وقامت الاميرة بتوجيه التحية للمفتش ولحقت بزوجها عند مؤخرة اليخت ·· وكان الرجل جالسا يسكب لنفسه بعض الخمر ، وفطنت الاميرة الى يده المرتعشة ودهشت :
ـ انك تبدو متألما يا ديمترى ؟
ولم يرد عليها فى بداية الامر ·· ولكنه وبعدما ارتشف جرعة من الشراب قال لها :
ـ ألهذه الزيارة التى تقوم بها الشرطة علاقة بغياب شميدت طوال هذا الصباح ؟ ·· لقد سمعته يتحدث عن « انتهاء الامر » وعن « شىء » قام باحضاره معه ·· اننى أريد معرفة هذا الامر ؟ ··
وتنهدت وقالت : ـ ثانية ··؟
وأستطرد غاضبا : ـ أنك سوف تخبرينى هذه المرة ·· ولا أظن شميدت هنا ليدفعك الى معاملتى كحيوان ·· هيا ··
وظلت صامتة ·· وهذا ما جعله يزداد اصرارا ·· وبعدما تناول الكهل بعض الجرعات الاخرى من الشراب قال مصارحا :
ـ لقد سمعت الان بعض ما يدور بين رجال الشرطة : فقد كانوا يتحدثون عن امر لوحة .. بل وعن العديد من السرقات ·· هل هذا هو الامر ؟ ·· هذا وقد قرأت فى الجريدة الصادرة هذا الصباح عن حادث عند روبير انجرام ··

ومضى الامير يطاردها بالاسئلة بينمــا ظلت المــرأة جامدة ·· وما لبثت أن قالت له بلهجة جادة تدل على صدق نواياها :

ـ انصت الى يا ديمترى ·· حقا اننا سويا ولكن فلتعلم بأننى سوف ألقى بك فى الماء اذا ما واصلت الاستفسار ··

وأكملت كلماتها وهى تبتسم ، وادرك الرجل أنها جادة فيما تقول ولذا فقد ارتعد بينما انحنت هى تداعبه بأطراف أصابعها :

ـ اتفقنا « شكرا يا عزيزى ديمترى ·· ولتدرك بأنك هنا الوحيد الذى يضايقنى ·· ولعلك لا تحاول ذلك مرة أخرى .

وتمددت فوق احد المقاعــد لتنعم بالمزيــد من الشمس الدافئة ·· وكانت تبدو كامرأة ثرية تنعم بثروتها ·· وما كانت كذلك ·· فلقد أدرك الامير حقيقتها وأصبح يخشاها رغم انه كان يجهل من تكون فى الواقع والدافع الذى جعلها تقترن بأسمه ، وشعر الكهل انه ازاء حيوان كاسر لن يلبث أن ينقض على الفريسة ولكن لاى الاسباب ترى ·· ومضت ساعة من الزمن ورجال الشرطة يذرعون المكان ويصعدون وينزلون ، وأخيرا توجه المفتش مع رجاله الى حيث كان يجلس الامير وزوجه ، بينما كان أوتا يمضى خلفه ·· وقام الشرطى بتوجيه التحية للامير مقدما اعتذاره عما بدر منه ، وسألته الاميرة :

ـ لعلك تكون قد تأكدت ايها المفتش ؟ ·· ولا أظنك لا تعاود التشكك فيما يتعلق بنا ؟

ـ لقد أخطأت يا سيدتى ·· وهذه هى التزامات المهنة ·· وشكرا لتعاونك معنا ··

ومدت المرأة يدها للشرطى :

ــ اننى ادعوك ان شئت يا سيد جاجاكمون للحضور الليلة وستكون قد رجعنا الى الميناء لنتناول كأسا من الشراب ولعلها تكون مناسبة طيبة لتروى لى احدى مغامراتك فاننى أجد مسرة فى ذلك ..

وقال لها : ــ لتعتمدى على ..

وانتقل الشرطى الى زورقه الذى كان يتراقص قرب اليخت .. وما هى الا ثوان حتى كان الزورق يبتعد عنهم ، وعندئذ استدارت الاميرة ناحية زوجها قائلة :

ــ والان .. هل تتخلى يا ديمترى عن هواجسك السوداء ؟

وتطلع اليها وقد ظل صامتا وابتسمت :

ــ لا داعى لان تكون لحوحا مثل هذا المفتش ..

وهز كتفيه وهب واقفا وعندما مر أمامها تمتم :

ــ قد أغضب أنا الاخر ..

ورغم أن الاميرة لم تتكلم الا أن نظراتها كانت كفيلة بازعاج العجوز .. ويالها من انسانة تتسم بالشراسة .. تكاد تكون مثالا للشيطان أو أنه تجسدها فأصبحت خادمة له .. وكانت هى نفسها تشعر بتلك القوة الكامنة فى أعماقها والتى تدفعها لتحقيق كل رغباتها .. واذا ما اعترضها أمر فلا شك أنها كانت تعمل على اقتلاعه .. دون شفقة .. وأما عن حياتها المليئة بالمغامرات فلم يكن هناك سوى رجل واحد هو الذى افلح فى التغلب عليها .. وان كان من الانصاف القول بأن هزيمتها أمامه كانت دائما نصف هزيمة لانها كانت تتمكن دائما من الافلات من مخالب أعدائها ..

وذلك الغريم كان هو الذى يطرق فى تلك اللحظة باب فندق ماجستيك ..

كان رجلا قوى البنية وكأنه أحد التماثيل اليونانية ، تعلوه حسمه القوى رأس مليئة بالحيوية ، تشع عيناه

الزرقاء اللون بالذكاء المتقد ·· وتقدم الرجل صوب مكتب الاستقبال ، وعندئذ صاح الرجل القابع خلف المكتب بطريقة تنم عن النشوة :

ـ من ؟ ·. القديس : ·· يالها من فرصة أن نراك بيننا : ··

ـ فلتعلم بأنها مشاعر متبادلة ·· فأنني وانا بعيد عن كان أفكر دائما فى الرجوع اليها ··

ولاح الموظف مترددا قبل أن يقول :

ـ و .· هل يعود القديس من أجل بعض الاعمال ؟

ـ كلا ولتطمئن ·· فلقد حضرت سعيا للراحة ·· ولتذكر بأن الذى يقيم بالفندق هو سيمون تمبلار وليس القديس ··

وكاد الرجل أن يضحك بسخرية :

ـ اننى آمل يا سيد تمبلار ألا يطلب أحد خدمات القديس ·.

ونادى على من يدعى شارل قائلا :

ـ اذهب بحقائب السيد تمبلار الى الغرفة ٦٤٠ ·

واتجه سيمون ناحية البار ·· فلقد كان ينشد الراحة بعد مغامرته الاخيرة فى افريقيا ·· وتذكر كيف توجه الى كينابا لصيد الحيوانات فاذا به يسعى وراء بعض الاشرار · واما اليوم كان يشعر بالحاجة الماسة لان ينسى الجرائم ··

وصاح البارمان بنشوة : ـ السيد تمبلار ·· ان الجميع سيشعرون بالسعادة عندما يرونك ايها القديس .

وقاطعه سيمون بقوله : ـ صه · · يا جاك ·· ليعلم الجميع هنا بأن القديس ليس موجودا فى هذه الارجاء ·· وانه لا يوجد سوى من يسعى للراحة والاستفادة

بالشمس الساطعة والسباحة وانفاق بعض النقود على مائدة اللعب ..

وأردف البارمان ضاحكا :ـ واجتذاب اجمل الفتيات هنا ..

عليك باعطائى بعض الويسكى حتى لا أسمع مديحك .. مديحك ..

وأمسك بالكأس ورفعها الى فمه ، وفى تلك اللحظة احس بشىء صلد ملتصق به وبمن يخاطبه بقوله :

ـ من القديس ؟ .. هنا فى الريفيرا .. ان هذا كفيل بايضاح اسباب اختفاء لوحاتنا ؟ .. فلتستدير ببطء ويداك مرفوعتان الى اعلى .. هيا ..

وأطاع سيمون ودار حول نفسه وانفجر ضاحكا .. وابصر امامه بوجه اليف لديه :

ـ من هنرى فيفار ؟ .. ذلك الصديق القديم ؟ .. أنك حسن الحظ ولو لم اتمالك نفسى لكنت قد طرحتك ارضا .. وهل تراك تقلد الافلام فتضع اصبعك بدلا من المسدس ؟ ..

وقال الرجل ضاحكا : ـ هذا عندما يكون الشخص هو تمبلار .. ونظرا لاننى أعرفك جيدا فأننى ادرك بأنه يلزم الكثير لاثارة غضبك ..

وطلب القادم من البارمان بعض الشراب ، ثم ساله سيمون بلهفة :

ـ حقا يا هنرى ما هى هذه القضية ؟ .. ولماذا توجه الى الاتهام بسرقة اللوحات ؟

ـ انها قصة طويلة يا صديقى العزيز ..

ـ لتسردها على اذن ..

ـ شريطة ان توافق على تناول الطعام معى فى الفيلا .. ولقد كنت افكر فى الابراق الى امريكا ؟

ـ لمن ؟

ـ لك يا سيمون ٠٠

ولم تغادر عينا سيمون الرجل الذى كان يحمل له مودة كبيرة فى اعماقه ٠٠ ورغم انه لم يكن قد عمل على مساعدة الرجل الفرنسى فقد كان يأمل أن يجد فيه رسول الخير الذى يسعى اليه طالبا منه مطاردة الاشرار ٠٠

كان هنرى يقطن فيلا تقع على حافة البحر وتطل على خليج كان ٠٠ واتخذ مكانه برفقة سيمون فى احدى الشرفات الواقعة على الحديقة الغناء ، وامامهما كان يتراءى الميناء الخاص حيث تتراقص القوارب ٠٠ ولم يكن هنرى يتابع هذا المشهد الجذاب فلقد راح يشرح لصديقه ما لديه بكلمات متتابعة :

ـ اننا نبحث بلا جدوى عن حل لتلك المشكلة التى تؤرق الشرطة ٠٠ فالمنطقة تعانى من جماعة من الاشرار تعمل بدقة متناهية وتقوم بتوجيه ضرباتها بطريقة محكمة كما لو كان القائمون على ادارتها يخططون لعمليات عسكرية ٠٠ ولهذا لا يتركون امرا للمصادفة ، وهم يتسللون الى البيوت عندما يكون اصحابها خارجها ، ويقومون بقطع اسلاك الاجراس والتليفونات ٠٠ ولقد اثارت الشرطة الامر على صفحات الجرائد ، وعندما لاحظت تكاثر الحوادث فضلت اخفاء هذه الامور لعلها بذلك تتمكن من الاهتداء الى اللصوص ٠٠

ـ وما الذى يسلبونه ؟ ٠٠ فهذا ما لم توضحه ٠٠ وان كنت قد تحدثت عن آثار فنية ..

ـ انها فى الواقع كنوز ؟ ٠٠ ان العصابة لا تقوم الا بسرقة اللوحات ذات الشهرة الدولية ٠٠ ورغم أن هذه اللوحات مصورة ومؤمن عليها الا انها تسرق ٠٠ وهذا مالا نجد له تعليلا ؟ ٠٠

ـ لقد بدأت أدرك نواياك يا هنرى ٠٠ والحقيقة اننى لست مستعدا ..

ـ انصت الى يا سيمون ٠٠

ـ لا ٠٠ لا فلا شك ان الشرطة الفرنسية ستوقع بالعصابة يوما ما ٠٠ ولكن ٠٠ الست متفقا معى فى ان اللوم يقع على اصحاب اللوحات انفسهم والذين لم يقوموا بالتحفظ عليها داخل خزانتهم بعد نزعهامن الاطارات ؟ ٠٠

وتطلع اليه هنرى طويلا وما لبث ان تمتم :

ـ هذا صحيح ٠٠ هذا ما كان يتعين عليهم القيام به ٠٠ ولكن ما قيمة الاحتفاظ وامتلاك لوحة لمانيس او فرمين او مايكل انجلو اذا ما وضعت داخل خزانة ٠٠

وعض على شفتيه وأطرق بنظراته وقال معترفا : ــ وأنا نفسى ٠٠

واعتدل سيمون وقد تطلع الى وجه محدثه واطرق هنرى برأسه وقال :

ـ لقد سرقوا منى لوحتين لونيوار وسيزان ٠٠

ـ محال ؟

ـ لقد تركوا باقى اللوحات ولم يختاروا سوى لوحتى (امرأة فى الحمام) و (اشجار الزيتون فى التل) ، وعندما أبصرت بك يا سيمون كنت أفكر فىطلب المعونة منك ٠٠

وما ان وجدتك امامى حتى ادركت بان ملاكى الحارس هو الذى يبعث بك الى ٠٠

وساد صمت يتخلله العديد من الافكار .. وكان تمبلار يفكر وتمتم صديقه :

ـ كيفتسرق كلهذه اللوحات فى غضون شهور قليلة ٠٠ من ذا الذى يخبرنا عن السبب ؟

ـ انك تطالبنى بالكثير ·· والحقيقةانها تساوى ثروة طائلة ؟

وصاح به الصديق ، ـ هذا صحيح ولو انها طرحت للبيع لكانت اثمانها خيالية ·· واننا لنتسائل عن ذلك الذى يسعى لامتلاك لوحات تعرفها الشرطة والمتاحف ·· وهكذا نجد أننا أمام لغز غامض يمكنك وحدك يا سيمون أن تميط اللثام عنه ؟

واتجه سيمون ناحية حافة الشرفة ، وراح يتأمل المشهد الرائع الذى يقع تحت انظاره ·· واستدار سيمون وكاد ان يتحدث عندما دخل رجل الى المكان وكان القادم يتجه ناحيتهما بخطوات متعثرة ، زائغ البصر وهو يقول متألما :

متألما : هنرى .. هنرى .. ليتك ترى ما فعلوا بلوحة فان جوخ التى امتلكها ··

الفصل الرابع

وظل القادم الجديد واقفا عند حافة الباب يتأمل هنرى فينار والقديس وقد أمسك بيده بصورة واتجه هنرى ناحيته قائلا : ـ ماذا تقول ؟

وتوقف عن الكلام واستدار ناحية ضيفه :

ـ سيمون ·· اننى اقدم لك صديقى اوريك وهو يقطن على مقربة منى ويمكنك ان تشاهد مسكنه من الشرفة ولتعلم بان اللصوص قاموا بزيارته منذ ايام قليلة ·

والتزم تمبلار بالصمت وقد راح يتأمل بعناية القادم وما بدأ عليه من قلق وتخاذل . وهز اوريك رأسه وقال موضحا الامر :

ـ لقد تحدث الى اللصوص تليفونيا خلال الاسبوع المنصرم وكان المتحدث رجلا واننى على يقين من ذلك ·· ولقد عرض على القيام بدفع مائتى وخمسون الفا من الدولارات لاسترداد لوحة فان جوخ ·

وضحك القديس قليلا : ـ انها فدية ·· ان الامور تتضح قليلا امامى يا هنرى ·

وصاح الاخير بالرجل : ـ وهل قمت بالدفع يا اوريك ؟

ـ لقد ترددت فى البداية ، وتساءلت عما اذا كان جاكمون الذى يتولى امر هذه السرقات ·· واشار على ان اخطرت المفتش جاكمون الذى يتولى امر هذه السرقات ·· واشار على بتحقيق ما يطلبه الرجل ، وقمت بالتالى بوضع النقود داخل مظروف قمت بتغليفه داخل ورقة احدى الصحف وعملت على وضع اللفافة امام الشاطىء قرب الكازينو ، وكان ذلك فى العاشرة ليلا وقد احاط رجال الشرطة بالمكان بعدما قاموا بتدوين ارقام

وقال له سيمون : ـ وبديهى ان اللص لم يحضر فى الموعد ··

ـ هذا صحيح ·· ولقد ظلت النقود مكانها دون ان يقترب احد من المكان لالتقاطها ·

وهز سيمون كتفيه : ـ لا شك ان هؤلاء اللصوص كانوا قد قاموا بمراقبة المكان ··

وأما هنرى فقد اضاف قائلا : ـ وهكذا لم تسترد لوحة فان جوخ ؟

وتمتم اوريك :

ـ بل لقد استرددتها ·

وقام الرجل بفض الصورة التى كانت بيده ، وعندئذ افلتت من هنرى صيحة تنم عن الالم ، واما القديس فقد

انحنى يتأمل الصــورة بعناية كـانت تمثل حانــة من ولم تكن رأس اللاعب موجودة بل كان مكانها ثقب كبير وهكذا أدرك القديس انه ازاء جريمة مثبتة بشعـــة . الداخل ، بعض الموائد الصغيرة ومنضدة من الزنك وفى الوسط مائدة بلياردو يقوم لاعب بتوجيه ضربة فوقها .. ولم تكن رأس اللاعب موجودة بل كان مكانها ثقب

وتمتم اوريك : انها وحشية .

وأردف هنرى وقد بدا حزينا لمـا يشاهد :

ـ انها لوحة لاعب البلياردو ايها القديس .. ولقد ادركت ما فعلو ابها ؟

وسأله تمبلار : ـ أيمكن اصلاحها ؟

وتنهد اوريك بحسرة :

ـ صحيح أنه يمكن ذلك بالاستعانــة ببعض وجـزاء اللوحة .. وعندئذ تنخفض قيمتها .. فروعة هـذه اللوحات تتمثل فى تكاملها وتناسقها ..

وفى تلك اللحظة لاحت على باب الشرفة سيدة شابة ذات وجه مشرق تبدو نظراتها متقدة وقد القت بشعرها الذهبى الى الخلف ، وتوقفت وقد ادهشها ان ترى هذا الوجه الغريب ثممالبث ان تعرفت عليه وعندئذ صاحت :

ـ سيمون .. يا الهى ! .. كم أنا فرحة لرؤيتك هنا .. ترى ما الذى دفع بك ؟ .. اتراها سيدة رائعة الجمال تلتمس منك العون أم يتيمة تطلب منك النجدة ؟..

وكانت القادمة تدعى كاترين فينار التى اعتاد المقربون اليها ان ينادوها باسم آخر مختصر الحروف وقال لها القديس :

ـ لا يا ترينا ، فلقد حضرت لانعم بهذه السماء وهذا البحر والشاطىء .. واننى قادم من افريقيا بعدما قمت بمطاردة بعض الحيوانات الشريرة ..

ورغم هذا المزاح من سيمون الا انها ابصرت باللوحة بين ايدى فينا رولذا سألت زوجها : ــ ما هذا يا هنرى ؟

ــ أنها لوحة فان جوخ التى يمتلكها صديقنا اوريك ·· ولعلك تشاهدين الحال التى اعيدت بها اليه بعدما رفض ان يقوم بالدفع طائعا ··

وراحت المراة تتأمل اللوحة وأضاف اوريك :

ــ اننى احتفظ فى هذه العلبة الدقيقة بكل ما تبقى من رأس اللاعب ··

وقام باخراج العلبة من جيبه وهو يقول :

ــ انها تحتوى على بعض الرماد ولا اكثر من ذلك ·· اننى لا يمكن ان اتصور انسانا مهما كان شريرا يمكنه القيام بهذا العمل البشع ·· ومن ذا الذى يجرؤ بعد الان على مخالفتهم ؟ ··

وتمتم فينار : ــ نعم ·· وعلينا أن نقوم بعد الان بدفع ما يطلبون تفاديا لما وقع لك ··

وخيم صمت طويل على المكان ، فقد كان الرجلان مشغولين بمتابعة ما حدث للوحة ، وكانت ترينا الجذابة هى من استدارت ناحية سيمون قائلة وخاصة أنها كانت تعلم الكثير من مقدرة هذا الرجل الذى كان يلقب بروبين هود العصر الحالى :

ــ لا شك أن القديس سيحاول أمرا فيما جرى ··

وتطلع اليها متفحصا وقد علت وجهه ابتسامة وأشرقت نظراته :

ــ لقد كان هنرى يحاول اقناعى بهذا يا ترينا ·

وسألته بلهفة : ـ ولعله قد وفق في ذلك ؟

ـ لا ·· ولكن الان أخشى أن أكون قد أذعنت لهذا العرض الذى تلقى به تلك اليد الجميلة ··

وكان فى هذا التصريح ما يكفى لاقلاق الاميرة الى درجة ما لو أنها علمت به ··

لقد توقف اليخت بعد زيارة رجال الشرطة بين جزر ليران التى تقع فى منتصف المسافة بين سانت مارجريت وسان هونورا .. وألقى بالمراساة فى منطقة تبدو فيها الرمال من خلال المياه واضحة وقد بدت الاسماك متسابقة ·· وقامت المرأة الشابة بارتداء ملابس الغوص وألقت بنفسها بين أحضان المياه يتبعها أوتا شميدت ·· ولبثا الاثنان يسبحان فترة طويلة تحت الماء ، بينما وقف الامير فوق ظهر اليخت ممسكا بنظارة مكبرة محاولا تتبعهما ، وكثيرا ما كان يفقد أثرهما ويكتشف الرأسين فى مكان آخر لا يطرأ بباله ، وما آن بدت الاميرة قريبة حتى نادى عليها :

ـ جريتا ·· تعالى ··

ورفعت القناع الذى يغطى عيناها ولوحت له بيدها ولكنه بدا ملحا :

ـ عودى فلقد حان موعد الرجوع الى الميناء .

ـ حسنا يا ديمترى ·· انك على صواب خاصة وأن لدى بعض المهام على البر ·

ومضت تضرب الماء بذراعيها حتى اقتربت من السلم الذى يتدلى على جانب اليخت وان هى الا لحظات حتى كانت فوق السطح يتبعها شميدت وعندئذ أصدرت أوامرها :

ـ فلتستعد يا أوتا ·· لانك ستقوم باصطحابى ·· والان لنتجه مباشرة الى الميناء ·

واتجهت بعد ذلك ناحية قمرتها ، وكأن ديمترى يمضى

خلفها وما أن دركت هدفها حتى وضع يده فوق كتف زوجته التى كانت اشعة الشمس قد لفحتها ·· وأستدارت ناحيته وقد قطبت جبينها كما لو كانت حية هى التى لمستها :

ـ ماذا تريد يا ديمترى ؟

ـ انى لا أرجو الا أن لا تعملى على الاقلال من شأنى ·· فأنت دائما برفقة شميدت الذى لا أرضى عما يعمد اليه من حركات ··

ـ عليك بالتعود على ذلك ،ولعلك تدرك انأوتاهو ربان هذا اليخت ··

ـ اننى لا أعترض على هذا ·· ولكن عليه أن يلازم مكان عمله ، وأن يرافقك عند الحاجة عندما تقومين بالصيد تحت الماء ، وأما فوق اليابسة فيجب أن أكون معك ·

وظلت تتطلع اليه طويلا دون أن تنبس بكلمة ·· وما لبثت أن دلفت الى قمرتها ، وضغط الرجل على قبضتيه وتمتم باسمها « جريتا » .. وقد أيقن بأنه لا سلطان له عليها ·· ولقد تعجب الرجل نفسه من انفعالاته ·· فلقد مضت عليه شهور عدة دون أن يعبر عن اعتراضه ·· واذن فلقد حدث أمر جعله ينقلب ويثور ·· والواقع أن اليخت « نجمة الصباح » كان سيخطى بأهتمام العديدين بعد ساعات قليلة قادمة ·



وجد المفتش جاكمون فى انتظاره فوق رصيف الميناء رجلا أوفده اليه مدير الشرطة ·· وتناول الشرطى المظروف الذى بعث به اليه وكان يحتوى على برقية

عاجلة : « لقد أخطرت بوصول سيمون تمبلار المدعو القديس الى كان وعليك بزيارته على التو وسؤاله . ونادرا ما يحل هذا الرجل بأماكن الا ونزلت بها الحوادث الفريدة .. مع استجوابه فيما يتعلق بحوادث سرقة اللوحات .. ومع مراعاة أن يتم ذلك بدقة فالقديس أخطر من صندوق متفجرات .. » .

ولم يتوان الشرطى فى بدأ الحملة للعثور على القديس ، ولقد أدرك ما يصبو اليه مصادفة بعد ظهر اليوم ذاته .. فلقد أبلغ فى الفندق بوجوده كسائح جاء لقضاء أجازته وتساءل عن مكانه ؟ .. ولم يتمكن احد من تحديد ذلك ..

وتلاقى الرجلان فى الشرفة حيث كان سيمون واقفا يتأمل المنظر الرائع للخليج .

وكانت الشمس آنذاك تغرب وقد ألقت فوق الافق الذى تغطيه الامواج بألوان زاهية متلالئة .. فى الوقت الذى كانت فيه بعض القوارب الشراعية تنتشر هنا وهناك ، وهكذا كانت نشوة المصطافين تتجلى فى هذه الارجاء ..

ــ السيد تمبلار ؟

ووقف المفتش أمام سيمون الذى ابتسم : ــ الشرطة ؟

ــ اتراك تعرفنى ؟

ــ لا ولكنى أمتلك حاسة خاصة لمعرفة أمثالك ..

ــ انها دلالة على ما يعتمل فى أعماقك من قلق يا سيد تمبلار .. اننى ادعى جاكمون ووظيفتى هى المفتش العام .. ويسرنى أن نتجاذب أطراف الحديث سويا ..

ــ هل تكون البادىء بالترحيب بى ؟ لم ترانى ارتكبت جريمة دون أن أدرك ذلك ؟

ـ ليس بعد .. وحتى الان فليس هناك ما يبرر القاء القبض عليك ..

ولم يدهش سيمون مما يسمع ، وأخذ يتمعن فى ذلك الرجل القصير ذى الوجه الشاحب الذى تختفى نظراته وراء تلك العدسات .. ولم يكن يدرى ما اذا كان الرجل يمثل أية مخاطر بالنسبة له .. ولم يلحظ سيمون الشخصين اللذين توقفا أمام الزورق ، وكانا رجلا تبدو عليه الخشونة ترافقه امرأة شقراء ، جميلة العينين ، ذات ملامح غريبة .. توقفت المرأة وقد امسكت بزميلها وقالت بلهجة اشتملت على كافة انفعالاتها من نشوة وخوف :

ـ لا .. لا .. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا ..

وأسرعت بوضع نظارة فوق عينيها كما لو كانت سعى للفرار من عدو لدود ، وكان اضطرابها ظاهرا وهذا ما جعل الكابتن شميدت يشعر بالقلق ؟

ـ عمت تتحدثين ؟

ـ عن ذلك الواقف هناك .. ذلك الذى يتحدث مع المفتش الذى قام بزيارتنا هذا الصباح ..

ووضعت يدها فوق قبضة المجرى القوى :

ـ انظر اليه جيدا يا أوتا .. وتذكر ملامحه .. انه هو ولا يمكن أن أنساه .. انهما ينصرفان سريعا ..

ومضيا يتابعان الرجلين عن بعد ، وقد لاحظا أنهما يتجهان بتمهل ناحية الميناء مارين بالزورق الذى تمتلكه الاميرة ، والحقيقة أن كلا الرجلين لم يكن ليلتفت الى الجميلات اللاتى يحطن بهما ..

ـ ما رأيك لو توقفنا قليلا أيها المفتش جاكمون ؟ .. وعندئذ نتمكن من تناول بعض الخمر المعتق ؟

ـ أرجو المعذرة يا تمبلار فانني لا أتناول أية مشروبات أثناء العمل ·

ـ حسنا ·· والان فلتوضح لى مغزى تلك الملاحظة ؟ اننى حللت بكان هذا الصباح فى طريق العودة من افريقيا ولم أكد أضع حقائبى فى الفندق ، وأتناول الطعام عند صديق قديم ··

وتمتم المفتش : ـ نعم ·· عليك أن تجيب على هذا السؤال البسيط وعندئذ تغمرنى الفرحة : هل تهوى اللوحات الفنية لدرجة اقتنائها ·· ؟

وضحك سيمون : ـ اللوحات ؟ ·· بطبيعة الحال وعندما تكون لدى صراف احد البنوك ..

وأمسك المفتش بالرجل حتى يتمكن من ملاحظته وسأله :

ـ لعلك حقيقة قد علمت بأمر السطو على اللوحات ؟

ـ اننى اطالع الصحف وبالتالى أدرك مغزى ما ترمى اليه بكلمات مقتضبة

ـ وخلاصة الامر أن لديك فكرة عن هذا ·

واستطرد يقول وقد تغيرت لهجته :

ـ حقا ان لدى فكرتى الخاصة ·· وخاصة فيما يتعلق بطريقة السطو ؟ .. وما الدافع اليه ؟ ومن سيكون الضحية التالية ؟

ـ ما أريك لو أنك رافقتنى لزيارة مكاتب الشرطة ؟

وواصل الرجلان السير على حين راح اثنان على مقربة منهما يتبادلان العبارات الحزينة ·· وكانت الاميرة تقول غاضبة :

ـ محال أن يكون الامر مصادفة ؟ ·· وكيف يتسنى لنا التصديق بأنه يتعقبنى حتى هذا المكان ؟

وانحنى وتا ناحيتها ·· وقال :

ـ جريتا ··

وارتعدت قليلا وادركت أن الوقت لم يكن ملائما للاقلال من شأن الامريكى وجعله غريما لها .. ان الاجدى أن تعمل على استمالته خاصة وأنه كان متواطئا معها لتحقيق تلك العملية الكبيرة التى تخطط لها ··

ـ أنصت الى يا أوتا ·· هل ترى هذا الرجل الذى يتحدث مع جاكمون ·· انه الوحيد فى هذا العالم الذى أرغب فى الفتك به بيدى ·· نعم ·· الوحيد ··

ـ أتعرفينه ؟ ·

وقالت له باقتضاب ونبرة تنم عن حقد دفين :

ـ نعم .. واننى لاعتبره بمثابة كابوس مخيف يعترض طريقنا بعدما اصبحنا على مقربة من تحقيق هدفنا ..

ـ وما الذى قام به ·· تجاهك ؟

وضحكت وقد تلاشى الجمال من ملامحها وارتسمت على فمها علامات الحسرة :

ـ ان الامر يقتضى أسابيع لاتمكن من سرد القصة من البداية وما تجشمت نتيجة تدخله ··

وكانت تتابع القديس بأنظارها ، وقد تفجرت الكراهية فى أعماقها تهيب بها أن تمحو القديس من الوجود ، وكان هذا يواصل الحديث مع المفتش ·· وتمنت لو أنها استطاعت معرفة ما يتهامس به الرجلان ، وفجأة حزمت أمرها وقالت لزميلها :

ـ عليك بالمضى خلفهما يا أوتا ·· ولتتبع هذا الرجل بعد أن يفترقا ·· ولتعلم أننى أريد معرفة مكان اقامته والهدف من حضوره ·· وعليك بالتأكيد مما اذا كان يقيم بمفرده ··

وأضافت بنبرة مريرة :

– وإذا ما كانت معه امرأة ؟ ·· وكذا نواياه ·· أفهمت ؟

– نعم ياجريتا ·· على الطاعة فأنت الرئيسة قبل أى شيء آخر ··

وابتعد أوتا ساعيا وراء الرجلين ·· وماهى الا ثوانى حتى كانت الاميرة وحيدة تراقب الثلاثة يبتعدون ·· وأحست بأن هناك ثورة جارفة تجتاحها وكذا خوف شديد من مخاطر جديدة كانت بالامس القريب فى منأى عنها ··

وكان المفتش يقول للاخر :

– هيا اشرح لنا ياسيد تمبلار وجهة نظرك فيما يتعلق بحوادث سرقة اللوحات ؟

– لازلت مصراً أيها المفتش ·· ليكن ·· لتعلم بأنه ليست لدى معلومات خاصة سوى ما قرأت فى الصحف التى أعطانى اياه صديق لى ؟

– واستنتاجك ؟

– حسنا ·· لقد لاحظت أن اللوحات جميعها قد سرقت من هذه المنطقة ·· ولعلك تذكر بأن الساحل الايطالى قد شهد مثل هذه الحوادث منذ وقت قصير ؟ وأما الساحل الاسبانى فلقد كان مسرحا لها فى العام المنصرم ؟ وظل الرجل صامتا لحظة ومالبث أن هز رأسه :

– هذا صحيح ··

– اذن فلقد توصلنا معا الى نفس الافتراض : وذلك أن الحدود لا تعوق السارق الذى يأتى من البحر الابيض المتوسط ·

وفى هذه المرة قال له المفتش بهدوء :

– انه تفكير صائب ياتمبلار ·· لقد تشابهت أفكارنا ·· ولذا فقد أخطرنا شرطة الساحل لمراقبة اليخوت وملاحظة تجوالها وذلك بدون جدوى ·· ناهيك

عما يسببه لنا ذلك من متاعب مع ملاك هذه اليخوت ٠
وادركا الفندق وابطا ، سيمون من خطاه وسأله المفتش :

ــ يمكنك أن تساعدنا ياسيد تمبلار واننى لعلى ثقة من ذلك ٠٠ وأننى لاعرف وجودك يثير دائما الشبهات ، وان كنت على يقين بأنك لن تقف حائرا أمام هــذه القضية ٠٠ ليتك توافق ٠٠

ــ ان جعبتى خالية الان ياجاكمون ٠٠ واذا ما طرأت لى فكرة فلن اتردد فى زيارتك كما طلبت منى منذ قليل ٠

وافترقا ، ودلف سيمون الى الفندق دون أن يلتفت خلفه ٠٠ واما الشرطى فقد ظل واقفا يفكر ويتساءل عما اذا كان من الصواب أن يثق بهذا المغامر الذى أصبح أحدوثة دوائر الشرطة فى أرجاء العالم ٠٠ وعلى مقربة من المكان وقف بحار قوى البنية يراقب هذا المشهد وقد علت وجهه ابتسامة وحشية ٠٠ ولما كان على صلة ببعض العاملين بالفندق فلن يجد مشقة فى الحصول على المعلومات التى تسعى اليها الاميرة ، وبهذا تركن اليه جريتا ، خاصة وأن مصالحهما مرتبطة ٠ وعندئذ يستطيع اوتا ان يسعى لجعلها طائعة منقادة له ، واحس اوتا شميدت بأن الثروة والعاطفة قد لاحت قريبة من متناول يديه .

الفصل الخامس

ما أن أدرك سيمون غرفته حتى راح يجمع كل ما يعرفه ٠٠ مسترجعا ما توصل اليه بشأن حوادث السطو الغامضة وبعد ذلك اتجه الى الحمام ليستحم وبينما هو

يحيط بالمنشفة جسمه بعد الانتهاء من الاستحمام تذكر لقاءه مع هنرى فينار وما عرفه عن سرقة اللوحات ، وعن عودة لوحة فأن جورخ مشوهة ، وعن ذلك الالحاح الذى تطالبه به ترينا لكى يتولى مهمة الكشف عن هذا اللغز ، ثم ما كان من لقائه مع أوريك وقيامه بمطالعة بعض الصحف لعله يكون فكرة عن هذه الحوادث ، ورغم هذا فقد أحس بأنه مازال بعيدا عن ادراك الحقيقة التى يصبو اليها ·· ولا شك أنها فكرة صائبة أن يلجأ اللصوص للقدوم عن طريق البحر والقيام بتوجيه ضرباتهم ، ومن ثم الفرار دون أن يتمكن أحد من مطاردتهم ، غير تاركين أية آثار جلية تدل عليهم ·· ولقد قامت الشرطة بتفتيش تلك اليخوت دون جدوى ·

وأدرك سيمون بأن القائمين وراء هذه الامور ليسوا اطفالا ، بل لا جدال انهم يعرفون أفضل السبل لتحقيق أهدافهم ·· وما كان ليجد سبيلا لتتضح له خبايا الامور الا اذا ··

وعاد الى غرفته يرتدى ملابسه استعدادا لتناول الطعام وقد تكونت لديه فكرة · لقد عرف رجال الشرطة بوجوده فى كان فهل يمكن هذا أن يلفت اليه أنظار اللصوص ؟

وأشرق وجهه بابتسامة عريضة وقد أحس بأنه بمثابة مغناطيس كان ابدا يجذب الاشرار ناحيته ·· واكتملت فرحة القديس وهو يجد نفسه هدفا للجناة ومطاردا لهم فى ذات الوقت . وهذا ما يمنحه بحق لقب القديس حامل القوى القاهرة التى تهدف وتمكنه من الضرب على أيدى العابثين بيد لا تلين ·

وما أن انتهى من تناول الطعام حتى كان قد قرر المضى فى المغامرة مهما تجشم فى سبيل ذلك من صعاب

ومتاعب .. ومضى القديس متجها صوب الزورق الذى تمتلكه الاميرة آملا ان يلتقى بالمتاعب ، ولم يكن سيمون ليحفل لمن يمضون حوله فى تلك الساعة المتأخرة ٠

وكان يمر على مقربة من احدى واجهات محل للمجوهرات عندما ابصر بمن يقوم بتعقبه .. وتساءل عن حقيقة الامر وهل تراه شبح احد المارة أم الامر غير ذلك ٠ واستبشر القديس خيرا بتلك المقدمة ٠ ودلف سيمون الى زقاق لاح على يمينه وما لبث ان توقف بعد خطوات قليلة ، وبدا المتعقب مترددا قليلا وفجأة اتخذ قرارا ألقى بنفسه بين جوانب الزقاق الذى سلكه سيمون عندئذ شعر بيد تربت فوق كتفه .

ــ ماهذا أيها الصديق أترانا نمزح سويا ؟

وقفز الرجل من مكانه ولم يحاول الاتيان بحركة مفاجئة للدفاع عن نفسه اللهم الا محاولة الفرار ، وعندئذ قال له سيمون :

ــ لعلك لا تنكر بأنه ليس لديك ما تقوله لى ؟

وتمتم الرجل : ــ لا ٠٠ حقيقة ٠٠ ولكن أساليبك فى الايقاف للاخرين تهددهم بالاصابة بامراض القلب ٠

وقاطعه سيمون : ــ اذن فاننى أرجو المعذرة والحقيقة اننى لم اعثر على وسيلة أفضل مما فعلت والان ما الذى يجعلك تمضى ورائى أيها العزيز ؟

ــ للتحدث اليك ٠٠

وجذب سيمون الرجل ناحية مكان مضىء حتى يتفحص ملامحه وأدرك من ملامحه الجادة بأنه لا يسعى للهرب وقال له :

ــ كان يمكنك أن تتصل بى تليفونيا وزيارتى فى الفندق وتحديد موعد ٠٠ أليس كذلك ؟

وقال الغريب : ــ انها طريقة مكشوفة وقد كنت أسعى

للقائك سرا ·· خاصة وإنك معروف يا سيد تمبلار ، وهكذا مضيت خلفلك للتأكد من أن أحدا لا يتعقبك ·

وكان القديس يحاول اكتشاف ما يجول بخاطر الرجل وأخيرا قال له :

ــ حسنا . . فلنتبادل وجهات نظرنا . . ما الذى تريده منى ؟

ــ كنت أرغب فى التحدث معك بشأن بعض المال ·· ولعل هذا الامر يثير اهتمامك ايها القديس ؟

ــ وما الذى يحول دون ذلك ؟

ــ اذن فلترافقنى ، وما أظن سيارتى ببعيدة وعندئذ نجد المجال الملائم للتناقش ، اما فوق الزورق فالجو صاخب وقد يستمع الينا احد البحارة ·

ــ هيا اذن . . ولكن عليك بالمضى فى المقدمة ايها الزميل ·

وعاد الرجلان من حيث حضرا ·· وأثناء قيام سيمون باشعال سيجارته استطاع ان يلمح اسم الرجل الذى كان مدونا فوق الولاعة وكان يدعى أندريه جان · وأما عن مكانه فقد كان مكتوبا انه يعمل فى شركة التأمين الاهلية · وأدرك نوايا مرافقه ولذا قال له بعد ما استقر بالعربة :

ــ اتعمل لحساب شركة التأمين الاهلية ؟

ــ نعم ·· وان كانت لا تمثل شركة بالمعنى المفهوم فهى أقرب الى كونها تكتل جماعى ، وذلك لمواجهة مخاطر المهنة ، واننا الان على وشك فقدان ثروة كبيرة ؟

وقال سيمون ساخرا ــ أهو الافلاس الذى تقصده ؟ ·· وهل هناك من يسعى للمساس بالمبالغ الخاصة بالتأمين على الحياة ؟

ــ لا يا سيد تمبلار فالامر يتعلق باللوحات . وأظنك قد

أدركت ما أصـــبوا اليه .. ولو إننـــا رضخنا لدفع التعويضـــات عن اللوحـــات المسروقة لاستنفد ذلـك كل اموالنا ٠

ـ نعم ٠٠ ولكن ما يدريك اذ ان الهدف هو حرمان المؤمنين من أموالهم؟ وهكذا تكون الضربة مزدوجة ٠٠ وبالتالى الفوز باللوحات والاموال ٠٠

ولم يبد أندريه متضايقا لهذا الاتهام الذى ألقى به القديس وهز رأسه

ـ انك لا تدرك ما أرمى اليه فلسوف نقوم بالدفع لمن يسترجع اللوحات ؟

ـ واذن فأنتم تتشككون فى أمرى ؟

ـ ما أظن الاحتمال خاطئا ٠

وساد الصمت بين الرجلين القابعين فى العربة التى ظلت واقفة ٠ وكان الليل متقدما ، وقد بات الزورق خاليا والطرقات خالية الا من بعض مرتاديها وهكذا كانت لاقل الاصوات اهمية بالغة فى تلك الساعةوتنهد سيمون

ـ ياللغرابة أن يوجه الاتهام الىَ برىء مثلى ٠٠ ان الظنون تساور الجميع هنا فيما يتعلق بى ٠٠ وانه ليمكن اثبات تواجدى فى كانابا بالامس .

واســـتدار عميل التأمين ناحية محـــدثه وقال له :

ـ اننا لا نسعى لتأكيد اشتراكك من عدمه ، وسيان ان يكون لك ضلع من قريب أو بعيد فى هذه الحوادث فهذا لا يعنى شيئا لنا . والذى يهمنا هو استرداد هذه الصور التى سأقدم لك بيانا عنها ، واذا ما وافقت فاننا سنقوم باعطائك خمسين ألفا من الدولارات ٠

وضحك القديس وهو يقول انه نفس المبلغ الذى طولب به السيد اوريك حتى يسترجع لوحته ٠٠

وقاطعه الرجل قائلا :ـ اننى اعرف ٠٠ ولعلى اتمكن

من زيادة المبلغ بعد الرجوع الى شركات التأمين ··

وغادر سيمون السيارة وهو يقول للرجل :

ـ حسنا ياسيد جان ·· سأقوم بالاتصال بك عند احراز تقدم مفيد ·· وهذا اذا ما قررت حقا القيام بالتحرى

ولاح رجل التأمين مترددا وعاد يحاول ثانية :

ـ ولعلك توافق على ما تقدمت به من عرض ؟

ـ لا وهذا ما أعاود تأكيده ·· فاننى قد حضرت اليوم فقط وعلى القيام بالتحرى اللازم قبل الموافقة والان طابت ليلتك ·

وقال جان يذكره : ـ خذ هذه البطاقة ليمكنك الاستدلال على مكانى ··

ظل سيمون واقفا لفترة يتأمل اضواء العربة التى انطلقت الى وجهتها ·· وأدرك بان الامور تبدو ملتوية ، فها هو بعد وصوله يقع تحت وطأة الشكوك دون ان يواجه عدوا حقيقيا الا اذا كان هذا المدعو اندريه جان هو مندوب العصابة واختمرت فى ذهنه فكرة وهى التمسك بموقفة الاول وبالتالى التعرض لمزيد من ضربات الخصوم ·· ولقد قام اللصوص خلال الثمانية والاربعين ساعة الماضية بممارسة نشاطهم لدى روبرت انجرام واعادة اللوحة مشوهة الى اوريك وهذا ما يدل على وجودهم على مقربة من كان ·· أو على الاقل فى الضواحى المحيطة بها · ولا شك ان العصابة كانت تتعمد على من يقومون بمراقبة الامور داخل المدينة ذاتها ، ولهذا قرر سيمون المضى فى المهمة ·

وما لبث ان اتجه الى حانة قريبة من الميناء يرتادها بعض المشاكسين والغانيات من فتيات الليل ، ونزل سيمون الدرجات الثلاث الواقعة امام الباب ودلف الى

الداخل ، وعندئذ اتجهت الرءوس ناحية القادم الجديد ، وتأمله البعض بترحاب فى حين أدار البعض الاخر الرءوس ٠ وكان يتقدم بتأن حتى يلاحظه الجميع واتكأ امام البار ، وكان صاحب المكان ايطالى الجنسية وسأله سيمون

ـ ألم يسأل عنى أحد الليلة ؟

وقال الاخر : ـ لا أعرف ٠٠ خاصة وأننى لا أحبذ هذا النوع من المهام ٠٠

ورد عليه القديس بتأكيد : ـ وبرغم هذا فعليك بابلاغى اذا ماحدث ذلك على عنوانى بفندق ماجستيك ٠ وتبادل الحاضرون همهمة سرت فى أرجاء المكان عندما سمعوا بأسم الفندق الفاخر ٠٠ وأضاف صاحب الحانة ٠

ـ ولكن لكى اتمكن من ابلاغك فإنه يتعين معرفة اسمك

وقال له سيمون وهو ينحنى الى الامام : ـ حسنا ٠٠

ونظرا لانه كانت هناك طبقة من الرطوبة تبلل المائدة فقد أمسك سيمون بثقاب وقام برسم رجل باسطا يده اليسرى مستندا الى جزعه اليمنى ٠٠ وتغطى رأسه هالة ٠٠ وما أن تمعن الرجل فى الخطوط المسطرة أمامه حتى صاح :

ـ من ٠٠ ؟ القديس ؟

ـ شكرا لانك تعرفت على هذه الرسومات ، ويكفى أن تسأل عن سيمون تمبلار وعندئذ يصل الى من يريدنى ٠٠

وظل الذين حولهما يتابعون هذه المحاورة الغامضة وأضاف سيمون

ـ لقد اخبرتك اننى أقطن فى فذدق ماجستيك ٠٠ وعليك باللجوء الى هناك ٠

ـ حسنا ياسيدتمبلار ٠٠ ومن هم العملاء الذين تنتظر أن يتصلوا بك ؟

ـــ اننى لا أعرف أيها الصديق .. وعلى كل فانّ الاسماء لا تهمنى قدر لقائهم .

واتجه صوب الباب ليخرج الى الظلام الدامس تاركا الجلسين فى الحانة فى حيرة من امر هذا الزائر .. ومالبث القديس أن أدرك غرفته حيث راح فى سبات عميق كان من شأنه ان يقلق عدوته التى أمضت الليلة مؤرقة ولذا هبت مبكرة واتجهت الى قنطرة اليخت تذرعها بارتباك واضح ·· وعندما تقابل معها الامير كانت قد اتخذت مكانهافوق مقعد وثيـر ، وكانت تـواصل التدخين ·· وقال لها :

ـ انك تبدين متضايقة ··

وقالت له حقا انه أمر نادر الوقوع بالنسبة لى ..

ـ أيمكننى مساعدتك ··

وقاطعته على التو ـ لا بالتأكيد ··

وقال لها بنبرة حاقدة ـــ بل نعم .. ولعلك تفضلين صديقك أوتا شميدت ··

ـ هذا صحيح ·· وهاهو ··

وقال لها القادم : ـــ لقد انجزت المهمة يا سيدتى وعندئذ قال الامير بلهجة جافة :

ـ مرة ثانية ·· ألا عرفت بم يتعلق بالامر ؟

وتنهدت المرأة قائلة : عليك ان تكون أكثر ظـرفا ياعزيزى ديمترى ·· ولتذهب لالقاء نظرة على اعداد الطعام ولتتأكد من انهم قاموا باعداد زجاجة شمبانيا لنا ·· وأظنها لا تعجبك الا تحت درجة حرارة معينة ·

ونظر اليها الامير غاضبا وما لبثأن انصرف تاركا اياها مع شميدت ·· وضحك الاخير ساخرا :

ـ انه سيغضب فى نهاية الامر يا جريتا ··

ـ لا شأن لك بالامر ٠٠ ولتحدثنى عن أمورك فى المدينة ٠٠

ـ ان الرجل يقيم بفندق ماجستيك ٠٠ بالغرفة رقم ٦٤٠ ويدعى سيمون تمبلار ولعلك تدركين ما الذى يخفيه هذا الاسم ؟

ـ نعم أيها الاحمق ٠٠ انه القديس ٠٠ أهذا كل ما عندك ؟ ٠٠ أين ذهبت ؟

ـ لقد تحريت عنه ٠٠ ولم أكن قادرا بأى حال على الذهاب الى غرفته ٠٠

قالت وكأنها تحدث نفسها :

ـ قد يقتضي الامر ذلك ٠٠ اننى أريد معرفة الاماكن التى يتردد عليها ٠

وكان الامير قد تسلل الى الغرفة دون ان يلحظه احد ٠٠ وقال لها :

ـ اذا ما كنت تخشين تمبلار هذا يا جريتا فعلينا أن نهتم بأمره ٠٠

وراحت تتمعن فيه وهى تعض على شفتيها ، وقد امسكت بالكلمات التى كادت تفلت منها ، وقررت أن تجاذبه أطراف الحديث لعلها تخرج منه بجديد فقالت له :

ـ وهل تعتقد بأننى أفكر فى غير ذلك يا عزيزى ديمترى ؟

وقال الرجل بنشوة واعتداد :

ـ انما تقولين هو الصواب ، ولعلك تدركين بأن الواجب يحتم على حمايتك ٠٠

وأضافت بدون أن تبتسم هذه المرة : ـ هل أنت معى ٠٠

ـ أليس هذا طبيعيا ؟ وأفضل بكثير من اعتمادك على السيد شميدت وهو ليس سوى ربان هذا اليخت ، أليس

كذلك ؟ ٠٠

وراح يتطلع اليهما ٠٠ الى من وهبها لقبه وان كان قد استفاد من جراء ذلك والى البحرى الذى كان يقوم بدور الرئيس ٠٠ ولم تبد جريتا منفعلة بتاتا ٠٠

ـ انك على صواب يا عزيزى ديمترى ٠٠ ولتدرك بأن صديقى اوتا او بالاحرى صديقنا اوتا جدير بالقيام بالمهام الكثيرة وهو بالتالى أكثر من كونه ربانا ٠٠ ولسوف تتأكدمن ذلك فيما بعد ، والان لنشرب هذه الشمبانيا ٠٠

وأدرك الامير انه يستحال اقناعها فتراجع عن الامر ٠ والحقيقة أن جريتاكانت تسعى لاحراجه فى الوقت الملائم الذى يعاود فيه عدوها الظهور ٠٠ وكانت قد قررت المضى فى العراك حتى نهاية الشوط ٠٠ وكانت نتيجة ذلك فيما بعد انها عندما قابلت أوتا قالت له :

ـ اننى اعرفه كيف اجد حلا للامر ؟ .

ـ حسنا يا جريتا فلتعتمدى على ٠

وظل يتطلع اليها ريثما تقوم بتوضيح ما يجول بخاطرها ولكنها قالت :

ـ ان الامر فى غاية البساطة ٠٠ علينا تحريك الامور بدلامن الانتظار ٠٠ وما الذى نخاطربه ؟

ـ لا شىء يا جريتا ٠٠

ـ ومن تساوره الشكوك فيما يتعلق بنا ؟

ـ لا أحد يا جريتا ٠٠

وعلينا اذن أن لا نتريث بعد الان ٠٠

وامسكت بسيجارةووقفت تجاه شريكها وقالت له متسائلة :

ـ واذا ما كنا بحاجة لمساعدة ؟

ـ ان لدى كل ما يلزم ٠٠ فقد تجولت الليلة فى المدينة وتناقشت مع بعض الافراد فى الحانة الواقعة امام الميناء وان كانوا فى حاجةماسة الى نقود ٠٠

ــ وهل يلتزمون الصمت ؟
وهز رأسه وكاد ان يروى ما عرف من الحانة ولكنه عاد فتراجع ٠ولا شك أنها لن تكون راضية اذا ما ادركت بأن القديس نفسه يسعى وراء أعدائه٠٠ وكان أوتا شميدت يعتمد فى توجيه أموره على حاسته ، أما توجيهات جريتا فلم يكن يعبأ بها كثيرا ، خاصة وأنها كانت تزداد تقديرا له عندما يتصرف وفق ما يحلوله ٠
وقالت له جريتا : ــ هذا ما ستقوم به ٠٠

الفصــــل السادس

كان الكثيرون يتدافعون ناحية الشاطىء الخاص وقد عم على المكان طابع الشباب والرغبة فى المرح ، وقد استعاد كل انسان طفولته ونشاطه ، يساعد على ذلك جمال المكان ٠
ولحق سيمون بأصدقــائه ، ومضى يوضح المــوقف حسبما يراه بكلمات مقتضبة ٠٠
وقال هنرى : ــ اننى لا أدرك وجهة نظرك يا سيمون ، فما الداعى لان تجتذب الابصار اليك فهذا قد ٠٠
ورفع تمبلار يده قائلا : ــ حقا اننى أخاطر بذلك وهذا ما انشده ٠
وكانت ترينا الرائعة متكئــة وهى تنصت باهتمــام لمــا يقوله القديس الذى كان يؤثر عليها بدرجة لا توصف ٠٠ لقد كانت المرأة تحب زوجها ولم يكن اعجابها بالقديس يعنى رغبتها فى التعلق به ، ولكن كان من المحال أن لا يثير اعجابها بما يقدم عليه من مغامرات ٠
وقالت له : ــ انك لا تعيش حياتك يا سيمون الا لاشباع

رغبتك فى المخاطر ٠٠

ـ هذا صحيح ٠٠ وان كنت أنصت اليه لادراك ما يرمى اليه ٠٠ ولتعلمى يا ترينا أن الشرطة تعمل على مراقبتى منذ وصولى ٠ ولتتصورى ما الذى يظنه سارقو اللوحات عندما يجدوننى أحوم فى هذه الارجاء ؟ ٠٠ انهم سيعتقدون بأننى أسعى للحصول على مكاسب خاصة وربما بالتعاون معهم ؟

ولاحت ابتسامة على وجه ترينا الجميلة :

ـ واذا ما اكتشفوا فى شخصك غريما فانهم لن يترددوا فى القضاء عليك ؟

ـ اذن فالامر يتعلق بحياتى يا ترينا ٠

وحدث أثناء ذهابه متجها الى بار الفندق برفقته أصدقائه أن أبصر برجل يسرع ناحيته :

ـ هناك رسالة لك يا سيد تمبلار ٠

وضحك تمبلار وقد أحس بالنشوة ٠٠ وبدت نظراته مليئة بالحيوية :

ـ قد تكون احدى اللمسات ٠٠

وأمسك بالمظروف ومضى يتفحصه ، ولاحظ الورق الردىء الذى صنع منه :

ـ أنهم لا يهملون أى شىء ٠٠ ورق ردىء ٠

وسألته السيدة وهى تميل الى ناحيته : ـ ولماذا ؟ ٠٠

ـ حتى أعتقد أن مرسل الخطاب من الطبقة المتوسطة ٠٠ ولكننا نعرف أن الامر عكس ذلك ٠ والان فلنر الراسلة ..

وتتبع سيمون الكلمات بعينيه وما لبث أن قرأها بصوت مرتفع :

« اذا ما كنت جادا فى اهتمامك فعليك بمقابلتى الليلة فى السابعة والنصف قرب نافورة موجان » ٠ وكانت

الرسالة مذيلة بكلمة (صديق) ، وهكذا أمسكت السمكة بالطعم ٠

وأمسكت السيدة بالخطاب وراحت تقلبه ومضت تقول :

ـ ان الورق ردىء شأنه كالمظروف ٠

وقال سيمون : ـ يبدو أن صديقنا يفطن الى صغائر الامور ٠

وأردفت المرأة الشابة تقول :

ـ ولعلك تجد أن ذلك ٠٠ ممتع ؟ أليس كذلك يا سيمون ؟

ولم يرد عليها على التو وتوجه معها الى مائدة التفوا حولها ٠ وقد تقلصت ملامحه وبدا غامضا ، وأدركت ترينا أن الامور قد تبدلت ، وقامت بوضع يدها فوق قبضة المغامر وقالت له :

ـ واذا ما كان الامر كمينا ؟

وعندئذ قال هنرى : ـ لو اننى مكانك لما ذهبت وحدى ٠٠

وهز تمبلار رأسه ومضى يقول :

ـ كمين أو غير ذلك ؟ ٠٠ اننى لن أدع هذه الفرصة تمر .. ولنفترض بأنهم يعدون كمينا لى ..

وتمتمت السيدة وقد اتسعت عيناها هلعا :

ـ واذا ما فتكوا بك يا سيمون ٠٠

ـ لعلك قد تنسين ان القديس لايموت ، وثانيا اذا كان هناك كمين فهذا يعنى ان هناك عدوا ، وبالتالى مهمة يجب المضى حتى نهايتها ٠٠ والان أين يمكننى يا هنرى أن أستأجر سيارة ؟ ٠

وقال الاخر :

ـ فلتأخذ عربتى ٠٠ ولكن حذار ٠٠

وقال سيمون مازحا : ـ لعلك تخشى أن تتحطم ..

ـ لا ياصديقى العزيز اننى اخشى عليك انت .. ولا داعى لاسترداد لوحاتى ؟

ـ ونترك هؤلاء الاشرار يواصلون جرائمهم .. ؟ لا .. انهم لن يتمكنوا أبدا من القضاء على .

وفى ذات المساء كان القديس يقطع الطريق المؤدى الى موجان .. ومضى متجها ناحية القرية مارا بالفيلات ذات الحدائق المزدهرة والالوان الزاهية وتذكر سيمون كلمات صديقه فينار : وذلك فيما يتعلق بمواجهة المخاطر وحده خاصة وأن الوقت سيكون ليلا .. وما هى الا انحناءة اخيرة الا وكان فى موجات .. وراح يتفحص الارجاء المحيطة به بعناية فائقة وهو يتابع كل سيارة مارقة مفترضا أنها تكون طريقة بسيطة للخلاص منه بواسطة أحد المدافع الرشاشة . وأوقف سيمون عربته على مقربة من جانب الطريق وراح ينتظر .. ولبث ساكنا محاولا ان يتوارى بين ظلال العربة ، وأمسك عن اشعال سيجارة لئلا يدل ذلك على مكانه .. وفكر فى مغادرة العربة ، وعاد فأدرك ما قد يعرضه ذلك لمخاطر ، فقرر ملازمة مكانه مكتفيا بالمراقبة وقال لنفسه : « لا شك أن أحد القناصين فى المنطقة المحيطة واننى لافضل أن يعمد الى التصويب ناحيتى وأنا ساكن لا أتحرك .. » .

وعلى حين غرة سمع من يقول له :

ـ حسنا أيها القديس .. لقد حضرت لاتحدث معك ..

كان القادم قد التف من وراء العربة وحاول سيمون بلا جدوى ان يتفحص ملامحه .. فقد كانت الاضواء خافتة للغاية .. وهكذا لم يميز سيمون سوى قامة فارعة ومنكبين عريضين وكانت أظافر الرجل قصيرة مقلمة .. تدل قبضته على القوة والبأس ..

وقال : ــ حسنا ٠٠ لقد حضرت للمناقشة وها أنذا أنصت اليك ٠

دلف الغريب الى داخل العربة وعلى بصيص الضوء الذى انبعث عند فتح باب العربة استطاع سيمون أن يكتشف ملامح الرجل الجامدة وأنظاره الثاقبة وشفتيه الرقيقتين ٠٠ ولم يكن القادم يحاول اخفاء وجهه ٠٠ فقد أشعل سيجارة الامر الذى جعله يبدو على حقيقته ، وكان يتفادى التطلع الى وجه سيمون وقال بصوت عادى :

ــ لعلك مهتم بأمر اللوحات المسروقة كعهدنا بك يا سيمون ؟

ــ هذا صحيح ٠٠ بل ان الامر يأسرنى ٠٠

ــ حسنا وهل تعمل لحساب الشرطة ؟

وانفجر سيمون ضاحكا ومضى يقول :

ــ ان الامر يكون مؤسفا ٠٠ وخاصة عندما يتعلق بمثل هذه اللوحات ؟

ــ أحسنت ٠ لقد كنا نخشى ذلك ٠٠

وسأله القديس ٠٠ من تقصد بـ « كنا » ؟

ــ ستدرك ذلك ٠٠ والان يمكننى ابلاغك باسم من سرق اللوحات وعن مكانها ؟

ــ حقا ٠٠ ان هذا يثيرنى ؟ ٠٠

وأردف قائلا : ــ من السارق « ٠٠ اننى أسعى لمعرفة ذلك ٠٠ وأما عن مكانها ٠٠ فهذا بحث يسرنى كثيرا أن أعرفه ؟

وقاطعه الاخر : وهو يستدير اليه :

ــ كل ما هناك يجب أن نتفق على الثمن ؟

وتوالى النقاش بين أرجاء العربة وسط جو غريب يكاد لا يصدقه العقل ٠٠ وسعى سيمون لتحريك الامر عندما قال سائلا الرجل :

ـ من تكون ؟
ـ نادنى باسم أوتا ٠٠ وهذا يكفى فى الوقت الحالى ٠٠
وضحك سيمون قليلا : ـ ياللامر ٠٠ أوتا ؟ ولماذا لا أناديك ماسا شوسيت ؟ أو أداهيو ؟ ٠٠ وعلى كل فانه لا يلوح أنك تعرف مكان اللوحات وبالتالى كيف تأتى للتحدث بشأنها ؟
وقال له الرجل بهدوء : ـ ربما ٠٠ ورغم كونك تدعى بالقديس أو الشيطان فانه لا يبدو عليك أنك ستبادر الى دفع الثمن ؟
وقال القديس دون أن يبدو منفعلا :
ـ وهذا ما يجعلكم تتدافعون مدعين معرفتكم بالامر ٠
وهكذا أصبح الاثنان كل فى مواجهة الاخر ٠٠ وتمالك شميدت زمام أعصابه لئلا ينقض على سيمون ويفتك به ٠٠ وأحس بالندم لانه تلقى تعليمات جريتا والا كان قد قضى على هذا العنيد ، ولكنها طلبت اليه مجاراة القديس الذى يحتفظ دائما فى جعبته بالمفاجآت ٠
وقال له سيمون :ـ حسنا ـ وكأنه قد عزم على أمر ما ـ أتراك ذلك الساحر الذى استطاع الكشف عن مكان اللوحات ؟
ـ انني لم أقل هذا ٠٠ وكل ما هنالك أننى مستعد لاعطائها لك اذا ما دفعت الثمن ٠٠
وقال له سيمون مشجعا : ـ ما الذى تقوله ؟
ـ لعلك تدرك بأن هناك جائزة لمن يأتى باللوحات ؟ ٠٠ وأظن أن الصعوبات ستواجهنى للحصول على مثل تلك الجائزة ؟ وأما أنت أيها القديس فالامر يختلف معك ٠ وان كنت أخشى أن يسترد أصحاب هذه اللوحات

حاجياتهم وتحصل أنت على النقود واخرج انا صفر اليدين ٠٠

وراح سيمون يحاول الكشف عن نوايا الرجل فقد كانت هناك أصداء لكلماته ، وكان الرجل يقوم بسرد كلمات أمليت عليه ، عاملا وفق تخطيط غير مفهوم بالنسبة لسيمون ٠٠ ولذا فقد ظل حذرا ٠٠ وسأله الرجل :

ـ والان ماذا تريد يا أوتا من أجل ابلاغي بالامر ؟

ـ أريد خمسة عشر ألفا مقدما ؟

ـ فرنكا أم ماذا ؟

ـ بل دولارا ٠٠ فهي العملة التي أركن اليها ٠٠

وأطلق سيمون صفيرا حادا :

ـ انك جشع يا صديقي ٠٠ وكأنك تتصور بأنني أتجول ومعي هذا المبلغ ٠٠ خمس عشرة ورقة مالية من هذا النوع ؟ ٠٠ انه تهور ٠٠

ـ حسنا بامكانك أن تحصل عليها ٠٠

ـ هذا صحيح ٠ ولكني ٠ قبل ذلك أريد ٠٠ دليلا ٠

ـ وهل يدور بخلدك أنني أتنزه ومعي احدى لوحات رمبرانت ٠٠ ؟

ـ ان على كل منا أن يقدم ما عنده فور الاتفاق وعن جانبي أعطي المبلغ وأنت ٠٠

ولم تمض لحظة حتى استدرك اوتا قائلا على عجل :

ـ حسنا ٠٠ سيكون لك ما أردت ٠٠

كان قد تحدث بطريقة جعلت سيمون يفكر في الامر ٠٠ وقال لنفسه (أيها الصغير ٠٠ لقد تحدثت بهذا القدر لادراك هذه الغاية ٠٠ ولاي هدف ؟

ولذا فقد قال له : ــ حسنا . . سأقوم بانتظارك حتى تستدعيني ··

ــ لا داعي لذلك ·· فلسوف تبصر بالدليل حالا ·· عليك بالتوجه الى التقاطع التالى ·· وهناك ترى حانوتا يقع على زاوية الطريق ·· محل قصاب ·· قف قرب حافة الطريق وأضىء مصابيح العربة مرتين ·· و

وما لبث أن غادر أوتا العربة دون أن ينطق سيمون بكلمة ·· بعدما أيقن بأن الكمين بات قريبا ·· وأضاف الرجل :

ــ لا تنسى ·· بعد خمس دقائق من الان !

وقال تمبلار موافقا : ــ حسنا ·· بعد خمس دقائق ··

وتلاشى الرجل وسط الظلام وكأن الجدران قد ابتلعته ·· وعلى التو أشعل سيمون سيجارة ومضى ينظر الى ساعته ؟ ·· وهو يسائل نفسه « ترى ما الذى أجده عند هذا الركن ؟ . . ايكون رجلا بيده مدفع رشاش حتى أعدل عن هذه المهمة أو ترى يكون المفتش جاكمون ؟ ··

ومضت ثلاث ·· أربع ·· خمس دقائق ·· وبدأ يواصل التقدم على مهل حتى أدرك محل الجزارة وقام باضاءة المصابيح كالمتفق عليه ·· وما لبث أن تلقى الاجابة ·· فقد غمره ضوء بطارية وسمع من يقول له :

ــ حسنا يا سيد تمبلار ·· لقد أخبرتك اننا سوف نتلاقى ·· ولاداعى للمقاومة ··

وكان الصوت للمفتش جاكمون الذى كان يتحدث بغضب ·· وقال له سيمون بهدوء :

ــ لتطمئن ·· سأغادر العربة ··

وهكذا مضت الامور حسبما طرأ بذهن ترينا ، فلقد كان رجال الشرطة يقومون بمراقبته وهو بصحبة أوتا ··

ولعل هناك من أخطراهم بذلك ؟ ·· خاصة وأنهم أطبقوا عليه عندما أضاء مسابيح سيارته ·· وهكذا فقد عمل أوتا وفق خطة محددة ·· وقال سيمون للشرطي :

ــ ما الذى حدث أيها المفتش ؟ ·· وفيما ترانى قد خالفت القوانين الفرنسية ؟

ــ هذا ما سوف نخبرك به ؟ ··

وقال لاثنين من رجاله : ــ هيا ·· فتشاه ··

وتم ذلك بسرعة وما لبثنا أن أعلنا بأن ملابسه خاوية حتى من مسدس ·· وقال القديس معاتبا المفتش :

ــ ألم أوضح لك بأننى حضرت الى كان للراحة وليس للسعى وراء فريسة جديدة ؟ ··

ولعلك لا تعلم بأننى لا أحمل سلاحا فى العادة ؟ ·· واذا ما تعين على استخدامه فاننى أقوم فى هذه الحالة باستعمال سلاح أعدائى ؟

لم يكن جاكمون فى حالة تسمح له بالمزاج .. ولذا فقد قال ملاحظا :

ــ لقد تلقينا افادات تدل على امتلاكك للوحات المسروقة ؟ ··

ــ ليتنى كنت قد استطعت استردادها ·· ولكن ··

ولم يكمل ·· اذ كان الرجل المنكفىء فى العربة يواصل البحث عندما هب واقفا وبيده لفافه صغيرة : ــ

ــ لقد وجدت هذه ·· بين جوانب المقعد ··

وقال له المفتش وهو يتناول اللفافة :

ــ لقد القيت بها عندما ابشرت بنا ··

وقام ببسطها وسيمون يتابع ذلك ·· وقد أدرك بأنها احدى اللوحات المسروقة ، ولقد أكد جاكمون ذلك عندما صاح :

ــ انها لوحة جوجان ··

وكانت لوحة صغيرة تمثل احدى نساء هايتى وتبدو نصف عارية تغطى زهرة شعرها الذى يتدلى بغير نظام حتى عنقها ·· وكانت اللوحة تبدو رائعة تحت الاضواء الخافتة

وتمتم سيمون : ـ انها لوحة رائعة ·

ـ حقا يا سيد تمبلار ؟ ·· ولعل الاغرب ان نعثر عليها فى عربتك ؟ ·· ولعلك تتفق معى فى القول بأنها سرقت من اللورد ستيفن ؟

ـ ما هذا يا عزيزى المفتش ؟ ·· لعلك تصدقنى اذا ما أبلغتك بأننى لست السارق ؟ ولو أنك بكرت فى الحضور لوجدت معى رجلا ·· يحتمل أن يكون زعيم العصابة ؟ ··

وقال المفتش مرددا : ـ كنت تتحدث مع الزعيم ؟ ·· هل تعتقد أن هذه الاكذوبة تنطلى على ؟

ـ لا يا عزيزى جاكمون ·· ولهذا قمت بعمل الاحتياطات اللازمة تفاديا لتدخلك ·· واليك هذا الاحتياط الذى أتحدث عنه ؟ ·

وتمتم المفتش : ـ ما هذا ؟

ـ انه جهاز تسجيل دقيق ·· ويمكنك أن تقوم بتشغيله لتنصت الى الحوار الذى دار بينى وبين الرجل الذى يدعى أوتا ··

ـ انك تهتم بكافة الامور يا سيد تمبلار ·· ولا تنسى شيئا ··

وهز سيمون رأسه ·· فلقد اعتاد مواجهة الكمائن وبالتالى الاستعداد لها ··

وأردف يقول : ـ ولعلك تجد أنه من الممتع حقا أن اقتنص غريمى فى نفس الفخ الذى دبره لى بدهاء ·

وتناول المفتش الجهاز الدقيق وراح يتفحصه خشية أن

يكون متفجرا ٠٠ وقال مستوضحا القدبس :

ــ ولماذا أضأت مصابيح العربة ؟

ــ لقد طلب منى صديقى أوتا ذلك ٠٠ وبهذا يقدم لى الدليل على ما اسعى اليه ..

ولقد صدق الرجل بتقديمه هذا اللوحة ٠٠ وابتسم سيمون ومضى يقول ساخرا :

ــ والان الا تنوى اطلاق رجالك سعيا وراء هذا الرجل الظريف ؟ ٠٠

وقاطعه المفتش غاضبا : انك لن تقوم بارشادى ٠٠ فاننى أعلم ما يتعين على اتخاذه ٠٠

ولم يلح سيمون عليه وسأله وهو يهز كتفيه :

ــ وهل أوضحت لى سبب حضورك للقائى ؟ ٠٠ أكان هناك اتهام موجه الى ٠٠ ؟

ــ لقد تلقينا افادة ٠٠

ــ مطابقة لما وقع ٠٠ أليس كذلك ؟

وقال المفتش من غير طيب خاطر :

ــ نعم ٠٠ وحضرنا نظرا لاننا لا نهمل أية نقطة متعلقة بهذه القضية ٠٠

وأشار الى اللوحة وقال له سيمون وهو يشير الى الجهاز الصغير :

ــ وأما أنت فعليك أن تنصت لهذا ٠٠

ولم يكن سيمون قد أعد خطة للعمل وقتها وقد بدت الامور أمامه بهذا الالتباس وتساءل عما يريده منه أوتا ؟ أتراه يسعى لابعاده ؟ ٠٠ وما المصلحة التى تعود عليه من جراء ذلك ؟ ٠٠ أيود أن يزيحه من الطريق والعمل وفق ما يحلو له ؟ ٠٠ وأشرقت ملامح سيمون وقد أمسك بما يدور بخلد أعدائه ٠٠

لو أنه كان بامكانه زيارة اليخت والانصات لما يدور

لاحس بالنشوة ٠٠٠ فلقد عمل أوتا على مغادرته قبل الغروب بقليل ٠٠ وكانت الاميرة متأكدة من قيامه بالمهمة وفق تعليماتها .. فاتجهت ناحية زوجها والفرحة بادية عليها وهو الامر الذى أثلج صدر الرجل من السعادة ٠٠

ـ ايضايقك أن تعرفى يا عزيزتى بأننى أشعر بالفرحة لان السيد شميدت تركنا سويا ٠

وقالت له المرأة ـ انك تمقته .. وانك لتخطىء بهذا يا عزيزى ديميترى ٠٠ فان الرجل يقوم الان باسداء خدمات جليلة لنا ؟ ٠

ومضى يتطلع اليها وقد أدرك أنها تفكر فى أمر ما فقال لها : ـ

ـ كم أود أن أعمل على مساعدتك يا جريتا ٠٠ وليتك تثقين بى قليلا ؟ ٠٠ لقد لاحظت بأنك مضطربة خلال الايام الماضية وكأن هناك ما يعكر صفو مزاجك ..

ـ صدقت ٠٠ فهناك ما يجول براسى يا ديميترى ٠٠ وان كنت اشعر بأن هو اجسى قد باتت اضغاث احلام منذ الليلة ؟ ٠

وتناول الرجل بعض جرعات من الكأس التى كانت بين أصابعه ومضى يتطلع الى تلك المرأة التى باع اليها اسمه ٠٠ والتى كان كثيرا ما يشعر أمامها بالخوف ، وتمنى الرجل لو انه كان شابا فعندئذ يحصل منها على ما يريد ويود ٠ وكانت جريتا جالسة وقد وضعت يديها تحت ذقنها ونظراتها شاردة الى الافق ٠٠ واقترب منها ديميترى وقام بوضع يده فوق كتفها برفق محاولا تفادى الالحاح ٠٠ وهكذا وافقت على مصارحته ٠٠

ـ فى هذا العالم كله كائن أوحد يمثل عندى قمة الشرور ٠ ولقد تشابكت سبلنا مرتين أو ثلاث مرات ٠٠

وفى كل مرة كان يكرس دهاءه وقوته للعمل على القضاء على ·· ؟

ـ ومن يكون الرجل ؟ ·· اذ لاشك أن الامر يتعلق برجل ·· أليس كذلك

ـ لاداعى للاصرار ياعزيزى .. فالافضل الا اطلعك على اسمه ·· ويكفى أن تدرك بأن هذا الرجل سيقوم بين لحظة وأخرى بدفع الثمن ··

وارتعد الرجل ·· وقد أفزعته زوجته ·· خاصة وقد لاحت فى عينيها نظرات قاسية تدل على عزمها على الايقاع بالغريم الذى يواجهها :

ـ اننى أشعر بالفزع منك يا جريتا ··

ـ الم أحذرك يا ديمترى .. فلم يجرؤ احد حتى الان على مواجهتى ·· والساعة الفاصلة تدق دائما لصالحى ··

وكان الوقت متأخرا عندما سمعت الاميرة وقع خطوات قادمة فوق القنطرة التى تربط بين الارض واليخت ·· ولاح طيف أوتا ·· وعبر الفاصل الذى كان يئن تحت أقدامه ·· وسألته جريتا : ـ ماذا لديك ؟

ـ كل شىء على ما يرام ·

ـ هل كانت هناك مضايقات ؟

ـ كلا ·· لقد مضت الامور حسبما أردنا لها ·

وقامت بجذبه بلهفة .. الى ركن قصى من الباخرة ، حتى لا يتلصص عليها ديمترى ·· ووقفا مستندين الى الحافة ناظرين الى المياه الداكنة ·· وقالت جريتا : ـ هل أبصرت به ؟

ـ كما اراك .. هادئا كالحمل الوديع ..

ـ ألم يحرك ساكنا ؟ ··

ـ كلا ·· ولقد كان بمقدرتى الاجهاز عليه لـولا توجيهاتك ··

وقاطعته بتحريك أكتافها ·· فالامور التى تلـوح ميسرة ازاء القديس لا تلبث أن تتحول الى مخاطر جسام ·· وقال أوتا غاضبا :

ـ اننى أدرك ما أريد ·· ولئن كان هذا الغلام قد وفق فى بعض الضربات فذلك هو مرد تلك الثقة العمياء التى يتمتع بها ·· ولقد قلت له عليك بالتوجه حتى محل الجزارة واضاءة مصابيح السيارة ·· ولتتصورى بأنه لم يتردد فى القيام بذلك ·

ـ وأين كنت فى ذلك الوقت ؟

ـ كنت قابعا على بعد خطوات قليلة خلف الابواب ·· ولقد رأيت رجال الشرطة يحيطون به ويضطرونه للنزول من العربة ··

ـ وماذا عن اللوحة ؟ ··

ـ دسست بها تحت المقعد وكأنه هو الذى فعل ذلك قبل نزوله من السيارة اذعانا لاوامر الشرطة ·· وهكذا تم لنا الانتصار وما أظن القديس بمفرج عنه فى القريب ؟ ·

وتنهدت الاميرة بارتياح وهى تقول :

ـ نعم ·· لقد أجدت يا أوتا ·· ولسوف نقوم هذه المرة ببيع ما لدينا دون ان يعترض طريقنا احد .. كم انا سعيدة ··

ـ حقا أنك تلوحين فرحة يا جريتا ··

كانت هذه الكلمات صادرة من الامير الذى تسلل وأدرك نهاية الحديث وكاد أوتا ينقض عليه ، ولكن جريتا حالت دون ذلك وقالت مؤكدة :

ـ نعم ·· اننى فرحة يا عزيزى ديمترى ··

ـ وما الاشياء التى كنت تتحدثين عن بيعها ؟ ··

وقالت وهى تطلق ضحكة عالية :
ـ لقد كنت أشير الى التخلى عن القابى ·· أفهمت ··
واستدارت الاميرة متوجهة الى قمرتها لا تلوى على شىء ·

وفى الصباح صدرت الصحف حاملة نبأ القبض على القديس .. وما الذى كان اذن لا يجعلها تشعر بالسعادة ؟

الفصل السابع

كان المفتش قد انسحب يرافقه القديس فى منآى عن رجاله ، وأخذ يتابعان الشريط الذى لم يفلت كلمة واحدة ، وبعد ان استمعا الى الحوار الذى دار بين أوتا وسيمون مرات عديدة ، وكان واضحا أن أوتا فى الظاهر يعمل لادراك هدفه دون أن يدرى ، انما يعمل على الايقاع بنفسه فريسة بين أيدى القديس ·· وعندما ردد الشريط صوت الولاعة قال سيمون وهو يوقف الجهاز :

ـ ثم ·· لديك خمس دقائق صمت ·· ويلى ذلك هدير المحرك وتوقفى .. وصوت صديقى جاكمون ..
وقال له الرجل بطريقة جادة :

ـ هذا ما أراه أمامى ·· انه تسجيل يدعو للتفكير ··
ـ ولعلك بعدما اقتنعت تجده كافيا ··

وراح الشرطى يتجول ببصره بين القديس والجهاز ·· وبعد ذلك أخذ يتمعن فى التعليمات المدونة عليه وقد لاحت على وجهه ابتسامة جادة ·· ولمعت أنظاره وكان سيمون يراقبه عن كثب .. وأخيرا قال :

ـ لنفترض أننا عملنا على مسح الاشرطة ؟ ما الذي يبقى لدينا اذن ؟

وكاد سيمون أن يقفز من مكانه : ـ ولكن ..

كانت أصبع الرجل قد باتت قريبة من الزر الذى يقوم بازالة الكلمات .. ومضى الرجل الدين يقول :

ـ وهكذا تزول الاعترافات والادلة ويعود القديس مشتبها فى أمره .. أليس كذلك ؟

وصاح به سيمون : ـ جاكمون .. أى ضربات الخيانة تعمل على توجيهها لى ؟

ـ انها ليست ضربة .. بل عرض .. فان مساعدتك قد تكون مثمرة ..

وألقى سيمون بنفسه الى الوراء وقد اصطبغ وجهه بما عاناه من تفكير وهو يتمعن فى محدثه :

ـ أهذا هو الثمن يا جاكمون ؟ .. أن أتعامل معك أو تزيل الاعتراف ؟

ـ بالتقريب .. وان كانت لدى بعض التفاصيل ؟

ـ وما هى ؟

ـ كأن تمدنى بأوصاف هذا الرجل الغامض الذى يدعى أوتا والذى تعرف صوته ؟

وكان يربت بيده فوق الجهاز ، وتنهد القديس .. بعدما ظل مضطربا لبرهة .. وأدرك ما يرمى اليه الشرطى فقال له :

ـ انك تعمل على اثارة أسفى يا جاكمون فقد كنت اعتبرك أمهر من ذلك .

ولم يحول ابصاره عن الرجل ، وقام باخراج سيجارة من جيبه وأشعلها بتأن .. فى الوقت الذى كان المفتش يحاول عبثا أن يعرف ما يختمر براس القديس .. ذلك الرجل العجيب الذى يعتقد المرء أنه ممسك به واذا به

يفلت على حين غرة ·· وخاصة وأن رئيسه قد حذره من الاستهزاء بهذا الرجل ··

وقال له بلهجة هادئة : ـ تكلم يا سيد تمبلار ··

وظل القديس محتفظا بعدم المبالاة وكأنه ازاء تلميذ يصر على عدم المبالاة بالدرس ·

ـ ولنفترض لبرهة ـ نعم لبرهة ـ انك ألقيت القبض على ·· ما الذى يحدث ؟ ·· والماذا لا تجيب ؟ ·· لعلك تدرك ما سيجلبه عليك هذا من متاعب ؟ ·· أتراني مخطئا ؟

وهوى جاكمون فى الكمين : ـ سأعرف كيف أجبرك ··

ـ على اى شىء ؟ ·· على ان اطلعك على ما يجول بذهنى ·· انك اذن لا تعرفنى حق المعرفة ·

وبدت ابتسامة اكثر مودة ..

وقال الشرطى مرددا : ـ على العكس ؟

ـ لتساعدنى على تحديد الزميل اوتا ولنطلق عليه هذا الاسم حاليا لاننا لا نعلم غيره ·· نعم ·· لتهيىء لى مقابلته والتعرف عليه ·· وبهذا نصل الى رئيسه ·· ولعل هذا هو ما تصبو اليه يا جاكمون ؟

وكاد الشرطى الفرنسى أن يقفز من مكانه ·· وقد وجد اقتراحا ما كان ليحلم به ·· لقد سمع فى حقيقة الامر عن القديس وما يقوم به من مخاطر ·· ومغامرات كانت تبقى بلا نهاية لولا تدخله لوضع حد لها ·· ورغم هذا كان جاكمون يجد مشقة فى تقبل اقتراح الرجل ..

ـ وهل تعتقد اننى اقبل ان اشاركك فى العمل ياسيد تمبلار · هل تراك نسيت من تكون ؟

ـ ومن أكون ؟

ـ انك مجرم ·· ببساطة ··

وأردف سيمون دون أن يغضب لما سمع :

ـ ان الكلمة قاسية قليلا ··

ولبث صامتا وقد تألقت عيناه الزرقاوان ·· ومضى المفتش يتطلع اليه دون أن يدرك مغزى ما يرتسم على ملامح الرجل · وأخيرا قال القديس :

ـ حسنا .. انني مجرم وعليك بانتهاز ذلك .. ولعلك تسعى الى مساعدتي ؟ وهذا ما أرجو تقديمه لك · وان كانت وسائلنا مختلفة ··

ـ ان ما يوافقنى هو الالقاء بك فى السجن ··

ـ هل تعلم ان هذا هو ما ابغيه الان ·· ؟

ونظر اليه المفتش وقد اتسعت عيناه من الدهشة :

ـ هل ·· هل تريد أن أوقفك ؟

ـ تماما ·· ألست مشكوكا فى أمره ؟ ·· ولهذا أمسكت بى ·· وقد كانت معى احدى اللوحات المسروقة .. ولهذا فالواجب يقضى عليك بالزج بى فى السجن ..

وتمتم المفتش : ـ انني لا أفهم بوضوح ما تقصده ··

ـ لتفكر . . ماذا سيقول اللصوص عندما يطالعون نبأ القبض على ؟ ·· سيعتقدون أن خطتهم أحرزت النجاح ، وأنهم قد تخلصوا من القديس وبهذا يتمكنوا من مساومة أصحاب اللوحات وعندئذ ؟ ··

وكان جاكمون يدرس ذلك الوجه المليء بالحيوية ، ذا النظرات الجلية ، ودلائل الصراحة : نعم لقد كان الرجل يستحق عن جدارة لقب روبن هود العصر الحالى · وتنهد :

ـ وكيف تعمل على الوصول بالمشكلة الى حل وأنت بين جدران السجن ؟

ـ الواقع اننى لن أكون هناك ·· ولسوف تعلن القبض على ومن ثم تطلق سراحى ·· وبهذا تهيأ الفرصة

السانحة للحصول على اللوحات ٠٠ وتكون النتيجة حصولى على جائزة شركات التأمين وبالتالى حصولك على ميدالية يا جاكمون ٠

وهز الاخير رأسه وقد أغراه هذا العرض الذى يخالف كل القواعد الجارية :

ــ اننى لا أتصور أن القى بك فى السجن ثم اعمل على اطلاق سراحك تاركا لك حرية الخروج والدخول الى السجن ٠٠

وانحنى سيمون مربتا على يديه بطريقة ودية ممتزجة بقلة الاكتراث :

ـ أفهمت يا صديقى ٠٠ ولتعلم بأننى سأقيم فى منزل صديقى هنرى فينار ٠٠ الذى تعرفه جيدا ٠

وهب الشرطى واقفا وراح يتجول فى الغرفة ٠٠ وأخيرا عقد العزم على أمر وأشار لسيمون قائلا : تعال ٠٠

واستقلا السيارة الرسمية بينما راح شرطى يعيد عربة فينار اليه ٠٠ وفى اثناء الطريق قطع جاكمون الصمت بقوله :

ـ ان روايتك كلها لا تلاقى رضائى ٠٠ ولتعلم ذلك صراحة ٠٠

ـ انى اتفق معك يا جاكمون وخاصة وأن الامر يحتاج لترتيبات عديدة ٠٠ مع السماء ولهذا فاننى اعدك بالسعى حتى يقوم أصدقائى فى السماء بمساعدتك ٠٠

ولم يكن المفتش مستعدا للمزاح ولذا فقد تمتم :

ـ أى الترتيبات تعنى ؟

ـ انسيت بأننى اقيم فى فندق ماجسيك ؟ ٠٠ وانك اذا ما قبضت على القديس فلن يتسنى له العودة الى الفندق لاخذ حاجياته ٠٠ وهذا ما يضايقه ٠

وتابع سيمون بنبرة هادئة : ثم تقوم بأحضارها لى .
عند صديقى فينار .. فيلا كوليت .

ـ أتعتقد اننى حمال فى خدمتك ؟ ترى كم تدفع لى نظير ذلك ؟

ـ سآتيك بلصوص اللوحات مكبلين بالاغلال .

ومضت دقائق اخرى دون أن يتكلم المفتش وما لبث الاخير أن قال :

ـ حسنا .. سوف القى بك فى السجن .

ومن خلال عدسات نظارته كانت نظراته مليئة بالحيوية وأردف يقول :

ـ ولسوف تظل حتى هناك فترة كافية تطمئن العصابة الى ذلك .. هذا اذا ما كانت موجودة اصلا ؟

ـ حسنا .. واريد منك المبالغة فى نشر الحادث .. فأننى اهوى أن يتحدث عنى الجميع ..

ـ لتعتمد على ..

وهوت على كتف الرجل أصابع فولاذية وتردد صوت سيمون القوى قائلا :

ـ لتدرك يا عزيزى جاكمون بأنها صفقة تجارية واذا ما قمت بالتراجع فلسوف ، يحيق بك العديد من المضايقات .. ومضايقات خطيرة .. ولتصدقنى فى قولى هذا .

ولم يعلق المفتش على ما قيل

واخيرا أدركا هدفهما وأخذت العربة تبطىء وما مضت ساعة الا وكان الخبر يتداول بين الصحف عن القبض على القديس ..

وكانت الاميرة تتناول طعام الفطور مع زوجها عندما أطلعت على الخبر .. وكان الخادم قد وضع الصحيفة أمامها .. وقطبت المرأة حاجبيها وبدا وجهها مضطربا ،

وقبضت على ما كانت تمسك به من خبز وحطمته وسألها الامير :

ـ ما الذى جعلك تضطربين يا جريتا ؟

ونفت ذلك بايماءة من رأسها ورددت الكلمة :

ـ مضطربة ؟ لا ٠٠ كل ما هنالك اننى فرحة لامر لم أكن اتوقعه ٠

وأشارت بأصبعها المصقول باللون الاحمر الى أعمدة أربعة فى الصفحة الاولى :

القبض على القديس فى كان ٠٠ توجيه الاتهام اليه باعتباره زعيم عصابة سرقة اللوحات ٠٠

وصاح الامير بدهشة :

ـ القديس ؟ انه رجل رائع ذو نزوات خيالية ٠٠

وقاطعته السيدة ـ انه رجل بلا وطن ٠٠ لا وازع لديه سوى امتاع نفسه ، ولذا فهو يسطو ، ويقتل ويختلس مستهزئا بالشرطة .. ولا شك ان الشركة كانت قدتمكنت من الادلة الكفيلة بايقافه والالمافعلت ؟

وأبدى الامير ملاحظة مفادها :

ـ انك تتحدثين عنه وكأنك تعرفينه ؟

ـ لقد تقابلنا فيما مضى ٠٠ ولو لم أدافع عن نفسى لوقعت ضحية له ٠٠

وقال لها الامير وهو يضغط على يدها :

ـ اننى أدرك مشاعرك ، وعلى كل فقد تخلصت من ذكرى اليمة ٠٠

وابتسمت له ومالبثت أن غادرت المكان متجهة صوب غرفة القيادة ، وانتحت جانبا بأوتا وتمتمت حتى لا يسمعها أحد هذه المرة

ـ هاقد أصبحنا هادئين ٠

وأحنى الرجل رأسه : ـ لقد اخبرتك الليلة بأن الرجل

لن يعود يسبب لنا مضايقات ..

وعضت على شفاها وقد راح شعور غريب من القلق يعمل فى اعماقها .. لقد تعرفت قبلا بهذا القديس مما جعلها لا تقلل من شأنه ، وهل تراه الان سجين الجدران الاربعة وقد قيد الى الاغلال .

وسألت أوتا : ـ ماذا تعلم عن أمر القبض عليه ؟

ـ انه ليس خبر زيفته الصحافة .. فلقد تناقشت مع أحد رجال الشرطة قبل عودتى وعلمت أن القديس مقيد فى سجنه ولن يخرج قريبا الى عالم الحرية .. كان شميدت يتكلم بثقة اعتداد وقال

ـ هل سارت الامور وفق ما تريدين ؟

وقالت وهى تضع يدها فوق ذراع الريان ..

ـ حقا وعلينا الان ان نستفيد من ذلك ..

وأخرجت الاميرة مظروفا موضوعا فى حافظة للاوراق كانت تحتفظ بها تحت حزامها وقامت باغلاقه بعناية فائقة وهى تقول :

ـ عليك بارساله بالبريد وبأسرع ما يتسنى ..

وأمسك بالخطاب ومضى يقلبه ويقلبه .. وهو يتأمل ما تحظى به الاميرة من فطنة رغم انه كان يفضل أن يلجأ الى العنف وتفادى الاساليب الملتوية خشية أن يكشف الامر عن مكان اليخت ..

وقالت له جريتا تطمئنه :

ـ انهم سيرضخون لنا ولا أشك أن ما وقع لاوريك سيدفعهم دون تردد

ـ ولكنهم وقد علموا أن القديس فى السجن فلسوف يدهشون ويسرعون باخطار الشرطة

ـ على العكس .. انهم سيجدون فى ذلك وسيلة لجأ اليها لاثبات براءته .. هذا واكرر لك يا أوتا بأنهم

سيخشون أن تعاد اليهم لوحاتهم ممزقة ٠٠ ولتعلم بأننى اقوم بدراسة تفكير هؤلاء الهواة منذ أمد بعيد ، حقا انهم يشكون ويذهبون الى الشرطة ٠٠ ولكنهم يعودون لالتزام الصمت عندما تتقدم اليهم ببعض العروض ٠

ولتعرف بأن اللوحة عندهم تساوى أكثر من طفل ينتمى اليهم

وقال الامريكى : ــ حسنا ٠٠ وما رأيك لو قمت بارسال الرسالةمن مكان آخر ٠٠ وليكن نيس مثلا ؟

ــ لا ٠٠ انها مخاطرة قد تكشف عنك ٠٠ فمن يدرى فلعلك تصادف كسولا يتجول هناك قد يلجأ فيما بعد للبحث عنك ٠٠ لا ٠٠ وعليك بدلا من ذلك التوجه الى مكتب البريد العمومى والقاء المظروف فى الصندوق المعد لذلكأثناء مرورك ٠٠

ووافق الرجل على الفور : ــ حسنا ٠

وما هى الا لحظات حتى كان الشاب مستعدا لمغادرة اليخت فى طريقه الى هدفه وكاد أن يغادر الباخرة عندما سأله الامير وهو يقف فى مؤخرة اليخت :

ــ الى اين انت ذاهب أيها الربان ؟

ورد عليه الامريكى بلهجة مختصرة :

ــ ان لدى مهمة فوق اليابسة ٠٠

ــ لمن ؟ ربما للاميرة ؟

وتبادل الرجلان نظرات عدوانية ولم يدر اوتا شميدت ما الذى جعله يقول للامير :

ــ ألا يعقل أن تكون لى صديقة فى المدينة ؟

وتطلع اليه ديمترى دون أن يبتسم اذ لم يصدق الرواية وكاد أن يقول له ذلك عندما لاحت جريتا ٠ التى قالت للربان : ــ اسرع ياأوتا ٠٠

وقال لها الامير : ــ لقد كنت أشك فى الامر ٠٠ اذن

فأنت التى تبعثين به الى البلدة ؟

ـ ومن الذى يمنعنى من ذلك ياعزيزى ديمترى ؟ الا يعمل تحت امرتى ؟

وقال لها الرجل بعداء واضح :

ـ ان هذا يعود لنوع هذه الاعمال ٠

وتطلع الرجل اليها والى المجرى ٠٠ لقد كان بمقدورها ان تجهز عليه بايماءة من رأسها وقد بات الزوج الغيور فضوليا ٠٠ وتمالكت نفسها :

ـ ان الامر يتعلق بخطاب ياديمترى ٠٠ هل لديك اعتراض ؟

ـ لا ٠٠ ولكنها مهمة لا تليق بالربان ٠٠ فلتوفدى احد البحارة

وهزت رأسها وبدا شعرها ساطعا تحت اشعة الشمس ٠٠ واحست بأنها بحاجة للتخلص من هذا الرجل الذى يضايقها، وعادت فقررت التريث ريثما تنتهى العملية . وعندئذ تتقدم طالبة الطلاق منه ٠٠ خاصة وأن فارق الاعوام بينهما كفيل بأن يساعدها لتحقيق هذا الهدف ٠

وقالت له بنبرة لطيفة : ـ اننى اختار من يقوم بارسال البريد خاصة وأن أوتا لا ينسى ما أقوله له ٠٠ بالاضافة الى رغبته فى القيام بنزهة فى المدينة ٠٠ ولعله يصادق احدى الفيتات هناك ٠٠ والان هيا أيها الربان ٠

وغادر الزوج مكانه متجها الى أسفل اليخت ، وراحت الاميرة تراقبه ٠٠ وظلت المرأة واقفة وقد أدركت بأن النجاح سيكون حليفها هذه المرة ولان الخطاب موجها للسيد ـ هنرى فينار الذى يقيم بفيلا كوليت شارع مارك ٠٠ وفى مدينة كان ٠٠

الفصل الثامن

كان لنبأ اعتقال القديس دوي عال وكأنه قنبلة فجرت في ميدان لاكونكورد ٠٠ سيمون تمبلار ذلك المغامر الذى لا يضاهى ، والذى حارب الجرائم تحت مختلف أنواعها ، والذى طبقت شهرته لندن وباريس ولوس انجلــوس وافريقيا ومراكش واسبانيا والبندقية وفى كل مكان يسعى فيه احد الاشرار للنيل من أحد الضعفاء . والذى كان يفرض اتاوة فيمــا مضى على الجنــاة قبل تسلمهم للشرطة ٠٠ وبمضى الوقت كان الرجل قد عدل عن أسلوبه حتى يكاد يصبح فى عداد مرشدى الشرطة ٠٠ وهاهى السلطات تمسك به بتهمة سرقة اللوحات ؟ ٠٠ وهل تراه حقا السارق الحقيقى الذى أزعج المنطقة طوال الشهور السالفة ؟ ولذلك أحاطت بالفندق جموع غفيرة مــن العاملين بالصحافة والمصورين ومندوبى وكالات الانباء ، وياللغرابة ؟ لقد كان المفتش جاكمون يهيىء للقادمين السبيل لالتقاط العديد من الصور للرجل الذى كان قابعا خلف الاسوار تحت رقابة شرطى ، ويبدو خائر القوى ٠٠ بحيث تبدو الاغلال فى يديه واضحة ٠٠ وراح يرد على ما يوجه اليه من استفسارات بطريقة تنم عن استسلامه وكان فى هذا ما دفع مندوبى الصحافة لان يقولوا له

– هل كشف أمرك ياتمبلار ٠٠ لم يعد هناك مجال للمضى ٠٠ هكذا هوت الجرة فى الماء ٠٠ !

والى غير ذلك من التعليقات ٠

ومضى سيمون يحاول اشباعهم تاركا الثأر لنفسه مستقبلا ٠٠ ومن ناحية أخرى كان هناك المفتش جاكمون الذى كان مزهوا بالامساك بالجانى وأخيرا قال لرجال الصحف

ـ يكفى ذلك .. والان فلتنصرفوا من هنا ..
وهاجوا معترضين على ما طلب منهم ·· وتمتم الشرطى
ـ انصرفوا والا امسكت بالمعترضين ·· مفهوم ؟ ·
هل يبدو الامر واضحا ؟ ·· ولا داعى للمزيد من الصور أو الاسئلة ؟ فلديكم ما يكفى للغد ·· والى اللقاء غدا
وقطع صوت أحد القادمين الضوضاء وقال المفتش مزهوا وهو يحيى القادم ـ من المفتش العام ؟
وسأله الرجل ـ هل وجه الاتهام الى القديس ؟
ـ ليس بعد · اننا نمسك به بسبب ما يحيط به من شبهات جسام · خاصة تلك اللوحة التى وجدت فى سيارته ·· واننا لننوى الذهاب الى نهاية الامر ·· والكشف عن المزيد ·· ولسوف يسأل فيما يتعلق بكل سرقاته ·
وقال أحدهم للقديس : ـ لعلك راض ياتمبلار ·· ولك تحياتنا القلبية ··
وصاح جاكمون : ـ الان تخلوا المكان ولتعلموا بأن التحقيق سار وبالتالى فلا مكان لكم هنا وبينما كانوا يغادرون المكان يتدافعون حاول احدهم التقاط صورة أخيرة وأسرع المفتش يقف حائلا دون ذلك ·
ـ نعم ياسيد تمبلار ·· ان الاتهام لم يوجه اليك بعد ؟ ·· واننى لاتساءل عما اذا كان يتعين على الاسراع فى ذلك ؟
ولم يحرك سيمون ساكنا · وأدرك بأن الرجل يكاد يندم على ما بدر منه من وعود الليلة البارحة · ولعل الاحاديث الصحفية ولقطات المصورين قد جعلته يغيرمن موقفه ·
ـ حذار ياجاكمون فمازلت محافظا على وعدى ؟ ·

وتمتم المفتش : ـ ان الكلمة تعطى للعمل وفقها ٠٠ والا ما كان هناك داع لها ..
وأطلق القديس صفيرا وهو يقول :
ـ أرجوك أيها المفتش ٠٠ دع هذا الاسلوب لما بعد ٠٠ وأما الان ٠٠ فلتعمل وفق ما اتفقنا
ـ واذا ما رفضت ؟
ـ سأكون آسفا أن أبلغ الصحافة بالحقيقة ٠
ـ ولكن الادلة تنقصك ٠
ـ وهذا ما سيجعلهم يصدقوننى ٠٠ ولسوف أروى لهم كيفية القبض على لحظة ان كان أوتا على مقربة من ايدينا ، موضحا ما وقع للوحة السيد أوريك ٠٠ وأقول أن ٠٠
وصاح الشرطى : ـ كفى ٠ ٠ لقد تفوهت بالكثير ٠٠ واذا ما واصلنا هذه المهمة بهدف الامساك باللصوص خاصة وأنك تدعى براءتك فليكن ذلك دون الاشارة الى ما اتفقنا عليه ٠
كان جاكمون قد وقع فريسة الغضب برهة ٠ وتمالك نفسه مدركا ما يتفوه به وقال
ـ حسنا لقد فزت ٠٠ حتى الان ٠٠ لقد قام كل منا بأداء دوره لحسابه الخاص ٠٠ وأنت الان بالنسبة للجميع سجن وبالتالى لن يمكن اطلاق سراحك بين عشية وضحاها ٠
ـ أتراني مدينا لك بالشكر ؟
ـ اننى لا أحب سماعها ٠٠ ولقد حان الوقت لكى تقوم بواجبك ٠
ويالله من حوار غريب ذلك الذى كان يدور من خلال القضبان .. وقال سيمون معترضا
ـ أنك سوف تعمل معتمدا على ذكاء الخصم أو

حماقته ؟ ٠ واذا ما وجد فى ايقافى ذريعة لنجاته فهذا يعنى لنا التوفيق ٠٠ وعليك الان ان تذهب الى الكنيسة للصلاة ؟ ٠٠ وقبل ذلك الذهاب الى فيلا كوليت ٠

وأردف جاكمون بلهجة هادئة

ـ لا ٠٠٠ ولسوف تنتظر حتى يحل المساء ياسيد تمبلار ٠٠ وأنت نفسك قلت هذا ٠ الم تقل أنه يتعين أن يشعر العدو بالاطمئنان ٠٠ هذا اذا ما كان هناك عدو ـ وذلك لا مكان النيل منه ٠٠ ولهذا فسوف تقضى النهار هنا فى هذه الزنزانة والتى لا اعتقد انها غير مريحة ؟ .. ما قولك ؟

ـ لتذهب الى الجحيم ياجاكمون ٠٠ انك على صواب ولكنهم سيدفعون ثمن ذلك غاليا ٠٠ وأولهم أوتا ٠٠

وكالمتفق عليه لبثا حتى حلول الظلام .. وقام المفتش بابعاد رجاله .. وعندئذ عمد الى فتح الباب وانطلقا .. سويا فى العربة متجهين الى بيت فينار .. وكان جاكمون يتولى القيادة وعندما قال له سيمون :

ــ وماذا عن أمتعتى ؟

ــ انها فى الحقيبة الخلفية للعربة ..

وظلا صامتين لبرهة ومالبث جاكمون أن أردف يقول :

ــ لتعلم بأننى مسلح ياتمبلار .. ولن أتوانى عن ..

ـ اننى لاأنوى خداعك ياصديقى ٠٠ وخاصة وأن كلماتك تحوز رضائى ، ثم لا تنس اننى اسعى لمعرفة نهاية الرواية .. فليهدأ بالك ..

وتمتم الشرطى : ــ أعلم ذلك ..

ومضى يواصل طريقه ودلف الى حديقة الفيلا على

التو .. وقد توقعا أن يقابلهما أصحاب الدار بدهشة وهذا ما حدث بالفعل .. فقد كان فينار وزوجته يحاولان أخفاء ما يعتريهما من قلق .. وبينما كانت السيدة تقوم بتقديم المرطبات قال لها سيمون :

ــ لا ياترينا لا .. اننا بحاجة لسماع مالديك بدلا من هذا الشراب ..

وتبادل الزوجان النظرات .. وكأنهما ماضيان فى التزام الصمت .. وقال الرجل محاولا أن تحذو زوجته حذوه ..

ــ الافضل أن ...

ولم يكمل الرجل اذ أنها قالت : ــ الافضل أن توضح لسيمون الامر ..

وتطلع فينار ناحية المفتش وقد لاح خائفا .. وعندئذ قال لهما سيمون :

ــ ان المفتش جاكمون يعمل الى جانبنا .. هيا تكلم ..

وعمل الشرطى على اعادة الطمأنينة للرجل ومالبث أن التزم بالصمت منتظرا وكانت ترينا قد وجدت الكلمات المناسبة وقالت :

ــ اننا لم نكن بقادرين على الكشف لك عن أمر اللوحات ؟ .. خاصة وأنها تعنى الكثير بالنسبة لزوجى ..

وسأل القديس :

ــ وهل تفضلان استعادتها ممزقة ؟

وصاحت المرأة : ــ لا بالتأكيد

وقال جاكمون مقاطعا السيدة :

ــ ان لدى كلمة : هل توافق ياسيد فينار على استضافة القديس فى بيتك ؟

ـــ انني أفعل مرتين لا مرة واحدة .
ـــ اذا فلتعدني بألا تدعه يولي هاربا ؟
ـــ وتطلع فينار ناحية القديس الذى احنى رأسه :
ـــ يمكنك أن تعده ياهنرى .
ـــ اذا فانا اوافق ايها المفتش .
وأبتلع المفتش لعابه وكأنه تجرع شرابا مر المذاق ..
وعاد فقال :
ـــ والان الى بالخطاب ..
كان المظروف والخطاب من نوع ردىء يشبه الصنف الذى تلقاه سيمون عندما
حدد له الموعد ..
وبالداخل كانت الكلمات التالية « عليك اذا مأأردت اللوحات الخاصة بك فى حالة طيبة القيام بدفع مليون فرنك .. »
وصاح هنرى غاضبا :
ـــ لو أمكننى الامساك بهم ..
وقالت له زوجته معاتبة : هنرى .. ماالذى يجعلك تثور لهذا الحد ؟
ـــ انها الرسالة التى تنم عن الوقاحة .. هل قرأت البقية أيها المفتش ؟
« وعليك فى حالة الرفض أن تذكر ما حدث للوحة فان جوخ ولعلك بالتالى تفكر فى الدفع ؟
ـ وهل أمامى غير ذلك ؟ .. ان اللوحتين تقدران بضعف هذه القيمة بالتقريب ولسوف أحاول الاتصال بشركات التأمين لمساعدتى وذلك بدلا من ترك هذه اللوحات بين أيدى الاوغاد ؟
وكانت ترينا قد أمسكت بذراع زوجها وتمتمت وهى تقول بثقة وارتياح

ـــ هل نسيت أن سيمون هنا ..

وقال القديس بلا مبالاة :

ـــ وهناك ايضا المفتش .. وعليك باللجوء اليه عند الاقتضاء .. وماالذى يستطيعه المرء ازاء هذه الثقة العمياء الا أن يعاود المحاولة ..

وقال وهو يبسط يده :

ـــ هل رأيت المظروف ؟ .. لقد تداولته أيد كثيرة وهذا يجعل من الصعب رفع أية بصمات .

ومتى استلمت الخطاب ياهنرى ؟

ـــ عند التوزيع الاخير .. هذه الليلة .. ولقد ألقى به موزع البريد فى الصندوق الذى بـالمدخل الخارجى .

ـــ الم يصلك بريد آخر خلال النهار ؟ هل تأكدت من الامر ؟

ـــ لا .. وانكا ن من اليسير التأكد من ذلك ..

واستدار ناحيته جاكمون الذى احنى رأسه.. وكان سيمون يتفحص المظروف وما لبث أن أعلن :

ـــ أرسل الخطاب من بريد كان هذا الصباح .. ويدل الختم على أن ذلك كان فى التاسعة والنصف .. أى بعد ساعة من اعتقالى وكـأن المرسـل على علم بذلك .. ولما كان ذلك يتعلق بمن نحاربهم فلا شك انهم راحوا يترقبون الاخبار بعد كمين الامس ..

واعاد المظروف ومضي الحاضرون يتطلعون اليهوكأنه ساحر يقدر على اعادة اللوحتين بأن يـدق الارض بقدمه .. ولكنه اكتفى بالقول :

ـــ مليون فرنك .. انهم على درجة كبيرة من المبالغة ..

وقال هنرى : ـــ ولكنهم كانوا قد طلبوا من أوريك

مبلغا أقل بكثير .
وأبدى القديس ملاحظة مفادها :
ــ اننى أعرف .. ربع المبلغ فقــط .. ولقــد ضاعفوا القيمة لادراكهم بأن المبلغ تحت يديك
ـ بالاضافةالى ادراكهم بأن فكرة تشويــه اللوحتين تهددنى بالوقوع مريضا ..
ودلت نظرات ترينا على استنجادها بسيمون .. وابتسم الاخير للسيدة بحنان
وقالت له : ــ ماذا تفعل ؟
ــ القيام بالدفع ..
ولم يتوقع المفتش ما سمعه ولذا فقد قفز من مكانه :
ـ أهذا كل مــافى جعبتك ؟ الهــذا الاقتــراح سعيت لاطلاق سراحك وحضرت لهذا البيت ؟ لا شك انك تسخر منا ياتمبلار ؟
وما تأمل جاكمون أصحاب البيت حتى أدرك بأنه ينفرد برأيه ... فلم يتشكك آل فينار فى نــوايا القديس .. ولو انه أدلى اليهما بهذه المشورة فذلك لامر فى نفســه ..
وقال سيمون : ــ لتهدأ قليلا ياصديقى جاكمون .. اننانواجه عصابة منظمة ، ولتعلم بأن الصديق أوتا لا يمكنه القيام حتى بعمليات السرقة وبالتالى الحفاظ على اللوحات ولذا علينا أن نتعقبهم ونعمل على كشف خطاهم ؟
وكانت ترينا تتابع القديس وهو يكشف نواياه بثقة وارتياح .. واردف الرجل يقول
ــ الخطوة الاولى هى محاولة اكتشاف الفائدة التى تعود عليهم من سرقة اللوحات ؟
هل إتفقنا على ذلك ؟

وقال المفتش ساخرا : ـ ياله من أمر مشوق ؟ .. وعن نفسى فاننى أعتقد بأنهم بهذا التصرف لا يقدمون خدمات جليلة للانسانية ؟

وتجاهل سيمون التعليق الساخر .. وأردف يقول :

ـ وثانية : ماهى الطريقة التى يلجأون اليها للحصول على الفدية ؟

ـ ولنفرض أن السيد هنرى أصيب بلوثة وقام بدفع القيمة .

ولم يدع له السيد فينار الفرصة ليتم قوله :

ـ اذن فانك لم تفهم الامر ؟ انى لافضل التضحية بالنقود بدلا من اللوحتين .. ولذا فسأقوم بالدفع .

وهز الشرطى كتفيه ..

ـ حسنا .. حسنا .. لتدفع وستقوم من ناحيتنا بتدوين أرقام العملات النقدية مراقبين من يحضر لاستلام الربطة ..

وتدخلت ترينا لتثنيه عن هذا الرأى .

ـ بتاتا . أنسيت ما جرى للوحة فان جوخ التى يمتلكها صديقنا أوريك .. وأظنك كنت تراقب المكان على ما أعتقد ؟ ولم يحضر أحدهم ؟ وظلت الاوراق المالية فى مكانها وتلقت اللوحة النهاية المفجعة التى حلت بها .

وراح المفتش يتجول فى الغرفة متضايقا .. وقد أدرك مشاعر فينار : وهل يدفعه ذلك لتحقيق مطالب اللصوص ؟ وفجأة توقف أمام القديس الذى كان يدخن بارتياح :

ـ انك لا تتكلم ..

ـ وماجدوى ذلك ؟ انك تعرف رأيى : ولا داعى لاعادة ترديده .. بالاضافة الى عدم المامنا بالطريقة

التى سيلجأ اليها الجناة بطلب التعويض ؟
ــ وهذا يعنى ؟
ــ أن يوافق صديقنا هنرى .. ويلتزم بماجاء بالخطاب ..
واعاد جاكمون قراءة الرسالة وهو يطلق زمجرة غير خافية .. ومالبث أن قال بحدة :
ــ اننى لا اجد امامى سوى المطالبة بالمليون ..
ــ وهلتخالهم من البلاهة بحيث يكشفون منذ الان على طريقة استلام النقود .. ولا شك أنهم سيتركون لهنرى مهلة يجمع فيها المبلغ وعندئذ يتلقى رسالة أخرى تخطره بالمكان الذى يضع فيه الاموال ..
وقال المفتش الذى ازدادت حدة ثورته :
ــ وعندئذ يكون قد فات الاوان لنقوم بتوجيه ضربتنا ..
وقال سيمون مؤكدا : ــ هذا صحيح .. فيما يتعلق بوجهة نظرهم ، وعلينا أن نتخيل كل الامور لئلا ندع أى شىء للظروف ..
ــ وكيف ؟ وذلك بالوقوف على مقربة من المكان للامساك بالجناة عند الاقتراب .. أليس هذا تريده ياسيد تمبلار ؟
وأجاب القديس بابتسامة ضئيلة واستدار شاملا تريتا بنظرة حانية :
ــ كفى أيها الصديق تشككا فى القديس المسكين ؟ أنه برىء وهذا ما أؤكده لك .. وكل ما يحتاج اليه هو الانتظار بسيارتين أو ثلاث حتى يمكنها التدخل على الفور .. بالاضافة الى جهاز للاشعة فوق الحمراء .. ولعله الاكثر أهمية .

وردد الشرطى بدهشة .. ماذا ؟
ـ نعم فهذا ضرورى .. وان اقتضى ذلك استعارته من البحرية الفرنسية .. ولعلك تسعى لمعرفة رأيى ؟ اننى أعتقد بان العصابة ستعمل خلال الليل .. وعلينا أن نتمكن من رؤيتهم رغم الظلام وذلك بالاستعانة بالجهاز المذكور .

الفصل التاسع

توقفت الاحداث ليوم ، وكأن كل خصم قد راح يستعد للجولة القادمة .. واتجه هنرى الى المصرف ليقوم بسحب المليون المنشودة وذلك تحت أنظار الصراف المليئة بالدهشة ، فى الوقت الذى عمل فيه البنك الى تدوين أرقام الاوراق المالية كاحتياط للامور .. ويعود هنرى الى بيته. بينما يمضى الوقت بلعب الورق مع القديس وبعيدا كانت ترينا جالسة تبتسم للقديس وهو يشير لها بايماءة من رأسه بان المهمة فى سبيلها للنهاية .. واما فى الخارج فقد جلس اثنان من مفتشى الشرطة وقد بدا لهما الوقت مملا .. وهناك على اليخت كانت الاميرة بادية الفرحة ، وخاصة بعد مارجع أوتا وأفضى اليها بأن الامور تمضى بطريقة حسنة .. وكان ذلك يعنى أن القديس مازال مقيدا وأن هنرى قد توجه الى البنك للحصول على النقود المطلوبة ، وعبرت الاميرة عن فرحتها بأن عرضت على أوتا قضاء السهرة سويا فى الكازينو . وهكذا انقضى النهار ودقت الساعة الثامنة مساء . ودق رنين التليفون وارتجف المفتش جاكمون .. وهو قابع بين

جوانب مقعده ـ وأسرع هنرى يلتقط السماعة ..
وتقدم سيمون ليمسك بالسماعة الثانية وابتسم جاكمون وهو يدرك بأن المكالمة مراقبة ..
وقال صوت مضطرب : هالو .. فينار ؟

ـ نعم ..
ـ هل أنت وحدك ؟
ـ نعم ..
ـ ان الامر سيان واذا ما حاولت الخداع .. فسيكون الثمن هو لوحاتك .. اتفقنا ؟ .. عليك بوضع ربطة النقود فوق الصخور الواقعة على الجانب الغربى من سانت مارجريت .. أفهمت .
وتمتم فينار : ـ نعم ..
ـ وذلك قبل العاشرة .. والان طابت ليلتك ولا داعى للخداع ..
وانتهت المكالمة وتطلع سيمون الى ساعته وادرك ان امامهم ساعتين ..وهكذا فان اللصوص لا يتركون أمرا يفوتهم ..
وقال الشرطى لفينار : ـ كان عليك المضى معهم فى الحديث ..
وأردف سيمون قائلا : ـ وما جدوى ذلك .. أتعتقد بأن المتحدث كان رجلا ؟ .. لقد كان الصوت خافتا وكأن من يتكلم يضع وشاحا من الحرير فوق فمه .. ولعل رجالك الان قد عرفوا مكان صدور المكالمة .. ومن يدرى فقد يكون تليفونا عموميا او تليفون أحد المقاهى ، وهكذا لن تستدل على شىء .
ـ وماذا نفعل الان ؟
ـ لنسرع الى الميناء .. ونقفز فى احد الزوارق ..

لنصل بهنرى وزوجته الى سانت مارجريت .. وهناك نقرر ما يتعين القيام به ..

واتجه ناحية الباب وقال دون أن يتلفت خلفه :

ــ ولا تنس جهاز الاشعة .

ومضى جاكمون خلفه وهو يزمجر .. وكأن القديس قد أبصر بما سيجرى الليلة ولذلك يبدو هادئا مطمئنا .

فى تلك الاثناء كان أوتا قد أدرك اليخت فى غياب الامير ، وتسلق السلم المؤدى الى أعلى حيث كانت جريتا فى انتظاره وقد التزمت الصمت .. وسألته على التو :

ــ هل مضت الامور بتوفيق ؟

ــ لم تكن هناك متاعب .. لقد تكلمت بايجاز بعد ما قمت بتغطية السماعة ..

ــ حسنا .. لنستعد للرحيل بعد ساعة ..

ــ اذن سأقوم باصدار الاوامر للاقلاع ..

ولم يكن ليدور بخلدهما أن القديس وجاكمون يرافقان آل فينار .. وبدلا من التوجه الى الميناء قال المفتش للسائق أن يذهب الى مرتفع موتيرنيفر موضحا :

ــ وهكذا لا يكتشف أمرنا خاصة بعدما أعددت فريقا للمراقبة ..

وقال سيمون دون أن يبتسم :

ــ ان لدى رجال الشرطة بعض الافكار الصائبة ..

وما هى الا لحظات حتى كان زورق الشرطة يستعد متجها صوب سانت مارجريت .

وقال القديس : ــ هلا أعطيت لى النظارة المكبرة .

وتغلب جاكمون على ما اعتراه من تردد ثم أعطى له ما أراد بعد أن قال :

ـ حاول الا تسقط من يدك فى الماء والا صار أمر اعتقالك لا جدال فيه ..

ـ شكرا على ثقتك أيها الصديق ..

وامسك سيمون بالنظارة أمام عينيه وراح يتجول فاحصا الارجاء الممتدة أمامه ونتيجة للاشعة الحمراء بدت كل الدقائق واضحة .. وأدرك الزورق المرتفع الرئيسى للجزيرة التى كانت تقبع على سطح البحر وكأنها حيوان بحرى ضخم تزينه الاضواء اللامعة حيث كانت تقوم المبانى والفنادق والحصن القديم ..

وقال سيمون : ـ علينا ان نذهب حتى المرتفع .. وليذهب هنرى وحده و .. وهكذا يطمئن الاخرون ؟

ـ وماذا نفعل ؟

ـ علينا بالمضى سيرا على الاقدام ياصديقى سالكين الطريق الذى يحاذى الشاطىء .. وهكذا يتسنى لنا الاقتراب ومراقبة ما يجرى بواسطة هذا .

وربت على النظارة ، ولم يعترض جاكمون هذه المرة .. وقد بدأ يطمئن الى المغامر الذى لايعبأ بالاحداث وكأنه يجعلها تسير وفق ما يريد .. ومضى كما اراد سيمون .. وما لبثا أن ادركا الحافة الغربية للجزيرة .. واستطاعا أن يبصرا على بعد المكان الذى حددته العصابة ..

وأعد جاكمون الجهاز وهو يتمتم :

ـ انه فينار يقترب .. انه هناك .. وانني لاراه بوضوح .. انه الان يقوم بوضع الرابطة فوق الصخور .. وهو يمشى فى نصف دائرة ..

وتنهد الشرطى متألما : ـ أهكذا نترك المليون من الفرنكات بين ايدى اللصوص .

ـ اننا هنا لمراقبة ذلك ياصديقى •
ــ ولاى فترة يا تمبلار ؟ .. خاصة وانهم يركنون الى ما قد يصيبنا من ارهاق .. ولا شك انهــم سيحاولون الاقتراب دون ان يلحظهم احد .
ــ ليس هذا مؤكدا .. فالامر يتعلق بعصابة تعمل فى هدوء وثقة تامة من وسائلهــا ••

وتنهد بدوره وقد تذكر ترينا •• وقد حرك ايمان المرأة به مشاعره .. ولعلها لا تسىء الظنون به فى اللحظة الاخيرة .. وتصورها وهى تترقب عودة زوجها مستقبلة اياه مقدمة له العون لربط الزورق .. ترى ما يجول باذهانهما آنذاك ؟ .. ورغم ما كان يتمتع به فينار من ثراء الا انه كان من غير المعقول ان يلقى الرجل بهذه الثروة تحت رحمة الامواج أو حادث طارىء .. خاصة وانه غير واثق من استرجاع لوحاته ؟ ••

وأما الامير فقد أحس بالشواهد التى اثارت مخاوفه : وذلك عندما أبصر بالاميرة وقد ارتدت ثوبا رائعا يكشف عن أكتفها وقد وضعت حول عنقها عقدا من الذهب .. وأمسكت بذراعه : ــ تعال يا عزيزى ..

ولم يحاول الامير اخفاء مشاعره .. بعدما أدرك بانها لم تقدم اليه الكثير .. فجعل يختلس النظرات لهذا الجسد الرائع ، المثير ، واتجها ناحية السلم الذى كان اوتا قد أحضر زورق اليخت تحته .. وتقدمت جريتا وقفزت الى الزورق وما لبثت ان جلست .. وكان أوتا ممسكا بحافة السلم ونادت عليه جريتا قائلة : ــ هل الامر معد ؟

ــ نعم ..

وكاد الامير ان يهوى الى اعماق المياه الداكنة لولا أن أمسك به شميدت بقوة وقال الرجل غاضبا :

ــ ما هذا اللغز الجديد يا جريتا ؟ .. ما الذى تقومين باعداده مع الربان ؟

وأمسكت به من ذراعه وجذبته أمامها ..

ــ ما هذا يا عزيزى ديمترى ؟ .. مـــا الذى يغضبك ؟ .. ان أوتا سيقوم باصطحابنا حتى الشاطىء .. وهذا هو كل ما هنالك والان هيا يأوتا ..

واتخذ البحار مكانه وما هى الا ثوان حتى كان الزورق ينطلق مثيرا دوائر كبيرة من المياه .. ومالت المرأة التى زوجها وهى تسأله :

ــ لا داعى لان تبدو متضايقا يا عزيزى .. الا يرضيك الذهاب الى الكازينو عن طريق البحر ؟ الا ترى بان الليلة صامتة والنجوم تبدو لامعة فوقنا ؟ .. وان كل هذا يدعو الى أن نحلم ونفكر فى الحب .. اليس كذلك ؟

وكانت قد احاطت بعنق الرجل المسكين .. وتضاءلت المقاومة لدى الرجل .. ورغم هـــذا أفلح فى ابداء اعتراضـه ..

ــ لو لم تكن هناك تلك الاسرار التى تفصل بيننا يا جريتا ؟ .. اننى أشعر بالضيق خاصة عندما أتصور ما يجرى بينك وبين هذا الرجل ..

وبذراعه أشار الى أوتا الذى كان يوليهما ظهره .. والذى كان لا ينصتاليهما ..

ووضعت المرأة يدها فوق فم الامير وهى تقول له .

ــ صه .. ولننتهز هذه الساعة من الليل ..

وكان هناك من يتابع تقدم الزورق السريع .. وقال جاكمون :

ــ انه زورق .. انه يمضى سريعا .. وما أظنه باحد مراكب الصيد ..

وقال سيمون : ــ الا تسمع محركه ؟ .. انه يبدو واضحا ..

ــ وعلى كل فانه يحمل الاضواء العادية ولعلها نزهة لعاشقين ..

وابصرا بالزورق يتجه ناحية الشاطىء .. وصوت المحرك يتخافت والزورق يمضى بطول المكان وما لبث ان توقف .. وكانت جريتا قد هبت واقفة وهى تجذب الامير تجاهها ..

ــ تعال يا عزيزى .. سنذهب لتناول العشاء ولن يلبث الحظ أن يبتسم لنا .. واننى لاشعر به على مقربة من أصابعى ..

واستدارت ناحية أوتا .. قائلة :

ــ عليك بالتجول قليلا وأمامك ثلاثة أرباع الساعة لذلك ..

وابتعد العاشقان وأوتا يتتبعهما ببصره وهو يتمتم :

ــ ليتنى كنت امسك بهذا الامير لاجعله يتخلى عما يساوره من شكوك .

ولم يكن الامير ليتوقف عن الاستفسار اذ انه سأل جريتا :

ــ وما الذى سيفعله الربان ؟

وقالت له جريتا وهى تتظاهر بأنها حالمة :

ــ عمن تتحدث يا عزيزى ديمترى ؟

ــ عن أوتا ؟ لعلك تعتقدين بانى لا أدرك .. خاصة وأنكما تتحدثان بالاشارات ولكنى لست كفيفا او واهما أو أحمق ؟

ــ اذا لم تكن من هؤلاء فعساك أن تربح الليلة يا ياعزيزى .. لننس أوتا ولنفكر فى انفسنا .

ودخلا الى الكازينو وكان جاكمون قد تتبع الزورق بواسطة منظاره فقال :

وقال له القديس : ــ عليك بأن توافقنى يا صديقى جاكمون وان تراقب المكان بعناية ·· ولا تدع النقود تضيع من تحت ابصارك .. خاصة وانها ستقودنا الى اللصوص .. ولسوف أقوم بذلك نيابة عنك اذا ما كنت انت مرهقا .. او اذا أردت ذلك ..
وتمالك المفتش اعصابه ، فما دام قد وافق على مشاركة سيمون تلك المهمة التى يتمسك بزمامها فأن عليه المضي حتى نهاية المطاف .. وظل يتابع لفافة النقود وهنرى قابع على مقربة منها ..

وأما الريان شميدت فما كان من شأنه ؟ .. لقد عمد الى ايقاف الزورق فى ركن قصى وراح يخلع ثيابه وقام بارتداء ملابس خاصة بالغطس ، وقد راودته بعض الافكار غير السارة .. « اننى أقوم بتعريض نفسي للمخاطر كلها .. وذلك بالاتصال بمن يقومون بسرقة اللوحات والذهاب الى موجان والقيام بتوجيه الضربة للقديس .. ثم التحدث بالتليفون .. وهذا كله من أجل الحصول على مرتب عادى وان كانت جريتا تراه كثيرا . ولكن هل تراها تصدق وعدها ؟ » .
والقى الرجل بنفسه وسط المياه الداكنة .. ولم يكن هناك من ابصر به .. وغادر الميناء الصغير مستعينا بضربات صامتة متجها صوب الجزيرة .. وبعد ما صار وحيدا فى عرض البحر أخذ يقول لنفسه ان الامر ليبدو مثيرا والصغير اوتا يمسك مليون فرنك . . ولاتريث قليلا وبعد ذلك اتناقش معها واذا ما رفضت اعطائى نصيبا عادلا .. نعم ..

وهناك على حافة الجزيرة قال سيمون لصديقه بالحاح :

ــ لقد بت مجهدا ياجاكمون . . فهلا اعطيتنى المنظار . . ؟ من يدرى فقد نبقى حتى شروق الشمس

.. وناوله الشرطى الجهاز نادما .. وراح سيمون يتأمل المشهد وادرك بأن النقود كانت هناك ، واحس سيمون بالالهام الخفى الذى قلما يخيب ، وقطب حاجبيه وهو يواصل النظر ناحية الصخور والنقود ..

وصاح جاكمون : وهو ينتزع المنظار منه :

ــ انظر هناك .. الا ترى هذا الضوء ؟

وكانت هناك بعض الاضواء التى اندفعت من الماء لامعة .. ساطعة .. وكأنها مواد فوسفورية ، وأسر

ــ المشهد جاكمون الذى راح يحاول ادراكه تعليلا للظاهرة ، وأمسك سيمون بذراعه وهو يقول له :

ــ عليك بمتابعة النقود ..

ــ وما معنى هذا الضوء ؟ .. ان المكان خال من اى حياة ..

وثار سيمون هذه المرة : ــ لتراقب النقود وهذا ما جئنا من اجله .. لا شك انهم القوا ببعض المواد الفوسفورية لاجتذاب أبصارنا .. ركز على النقود .

واخيرا قرر المفتش الاذعان لمطلب سيمون واستدار ينظر ناحية المكان المحدد .. ولكنه صاح بفزع : لقد اختفت النقود .

ــ أليس هذا هو الذى كنت أقوله لك ؟

ونزع القديس الجهاز من يده .. وراح ينظر امامه .. واستطاع ان يميز المنطقة الصخرية الوعرة ،

وهناك كانت رابطة النقود التى وضعها صديقه ، وأما الان فقد اختفى كل شىء .. وتمتم :

ـ ان هناك أمرا غير عادى .. نعم ..

وقال المفتش : اذن هيا بنا ..

وراحا يقفزان بمحاذاة الشاطىء وقد احتاجا الى بعض الوقت لبلوغ مكان زورق الشرطة الذى كان يتراقص بهدوء فوق سطح الماء .. وكان هنرى وزوجته هناك ..

ـ ماذا هناك ؟

ـ سنوضح لكما فيما بعد .. اسرع يا جاكمون ..

وقفز الاثنان ومضى السائق مندفعا الى الامام .. وقد قبض جاكمون على حافة الزورق غاضبا ، واقتربوا من المكان وقاموا بتسليط الاضواء لمساعدتهم على اكتشافها فى حين كان المفتش يزمجر .. وقد بدت ثورته واضحة :

ـ ما الذى حدث ؟ .. اننى لا أرى سفينة او قاربا اقترب من هنا ؟

ظل القديس يراقب الصخور .. وما لبث أن قال :

ـ لقد لجأوا الى طريقة لم تطرأ لنا ابدا على بال .. ولعل هذه هى اللوحات ؟

وابطأ من سرعة الزورق وقال سائقه :

ـ لا يمكننا التقدم أكثر من ذلك والا اصطدمنا بالصخور ..

وقفز سيمون متمالكا توازنه ، وخاض فى الماء تحت ركبته .. والاضواء مسلطة عليه وابصروا به ينحنى ويلتقط بعض الاشياء ولا يلبث ان يعود ادراجه .. ونادت عليه الزوجة :

ـ سيمون .. سيمون .. ماذا وجدت ؟

ـ انها لوحات .. واى لوحات ؟
ولم يكن ليطرأ ببالهم ان هناك من كان يسبح على مقربة من المكان وقد طفا على سطح الماء وراح يراقبهم وقد وضع فوق كتفيه انبوبتى هواء .. واما اسنانه فقد كانت قابضة على جهاز التنفس .. واحس اوتا بالرغبة فى الضحك وقال « يا للاغبياء » لا شك انهم سيبذلون جهدا كبيرا .. حتى يمسكوا بالعزيز اوتا» .. وغاص الرجل تحت الماء وهو يدفع الماء بيمناه بينما التصقت يده اليسرى بربطة كان يحتضنها بقوة .. وقال مهنئا نفسه . « ياله من عمل رائع يا أوتا ؟ .. لا شك ان جريتا ستكون راضية
وظل يسبح متجها الى الميناء الصغير وهو يقول «سوف أكون هناك قبل انقضاء الساعات الثلاث المحددة » .

الفصل العاشر

وعاد الزورق بسرعة فائقة الى الرصيف لتستقل الجماعة الصغيرة احدى سيارات الشرطة متجهين الى فيلا الوليت وقد خيم عليهم الصمت . وكان هنرى اول من توجه الى الصالون وهو شارد الذهن مذ اعطاه سيمون ما وجده فوق الصخور ، وكان جليا ان الرجل فى عالم اخر وقد بدت ملامحه شاحبة ، وتمتمت ترينا قائلة :
ـ اننى اتوسل اليك يا عزيزى .
ولم يتفوه الرجل بكلمة وبدلا من ذلك تناول مقصا وراح يقص الغلاف الجلدى الذى يحيط باللفافة التى

احضرها سيمون ، وفى الداخل عثر على لوحتين وقام بفضهما وقد لاح قلقا بوضوح وقالت ترينا : انهــا هى .. نعم .

وسأله جاكمون : أهما لوحتاك

ــ نعم لوحة رينوار وسيزان ..

ــ هل أنت على ثقة من ذلك ؟

وتمتم فينار : نعم .. خاصة بعد ما وجدت التوقيعات وذلك الخدش البسيط الذى حدث عند القيام بنقلها .. انها اللوحات الاصلية ..

وعاد سيمون يسأله : اليست هناك أية خسائر قد لحقت بها ؟

ــ نعم بالتأكيد .. فما كان يتعين عليهم القيام بلفها بهذه الطريقة .. وان كان يمكن اصلاح ذلك .

وما لبث الرجل ان تنهد وهو يقول : واخيرا عادت اللوحات الى مكانها الاصلى .

ولم يتوان المفتش عن ان يقول :

ــ وبأى ثمن ؟ .. مائة مليون فرنك ! .. انه مكسب سهل . . اليس كذلك يا سيد تمبلار ؟

ــ نعم اننى اتفق معك فى الرأى .

وساد الصمت .. وبدت ملامح جاكمون تتبدل ، ومضى يتطلع الى سيمون .. واحست ترينا بالقلق وخشيت ان يلجأ الشرطى الى القبض على سيمون .. وفى محاولة منها لازاحة التوتر قالت مستفسرة :

ــ وكيف تمكنوا من .. ؟

وقال تمبلار ما انتوت ان تقول :

ــ اعادة اللوحات دون أن يراهم أحد ؟ .. ان ذلك فى غاية البساطة فبينما كان صديقنا جاكمون يشاهد الاضواء المنبعثة من الماء ، كان هناك من يتجه متجها

ناحية الصخور لاجراء المقاصة .. ورغم احتياطنا البعيد وافتراض أنهم قد يلجأون الى طائرة هيلوكبتر .. فقد نسيت الطريق الطبيعى الذى قد يسلكه المرء بين مكانين يقعان على الماء .

وضغط الرجل على أصابعه وقد نفد صبره وتمالك نفسه ومضى يقول :

— وعلى كل فلقد امسكنا الان بخيط على درجة كبيرة من الاهمية الا وهو آعتمادهم على طريق البحر لانجاز اعمالهم وهم يعملون على سلوك هذا الجانب بثقة ودون اية مخاوف اوتردد يحد من نشاطهم ولذا فعلينا الاستفادة من ذلك لصالحنا .

وضحك جاكمون عاليا : ياله من استنتاج رائع يا سيد تمبلار؟ وما الذى تخرج به من ذلك ؟ لعلك تعتقد ان هناك غواصة تعمل فى نطاق مياهنا دون أن يفطن أحد اليها ؟

وازاء هذا التهكم تمالك سيمون زمام نفسه وقال للرجل :

— هذا افتراض عظيم .. وعلينا بالالتجاء الى غواصة صغيرة لمعرفة مكان اللصوص وبالتالى الكشف عنهم فى عقر دارهم ..

وتطلعت ترينا الى سيمون وهى لا تخفى دهشتها .. واما هنرى فقد رفع رأسه عن لوحاته الغالية فى حين قال المفتش فى سآمة :

— هل يتعين على المصارحة بأننى اصبحت لاهث الانفاس ؟ .. ولتخبرنى أيها القديس بالطريقة الجدية لاقتفاء الاثر بين مكانين يقعان وسط المياه ؟

وتنهد القديس متحسرا : .. لكم اننا أشعر بأن من حولى لا يدركون ما أرمى اليه ؟ ماذا قلت

لك يا عـــزيزى جاكمون ؟ كنت اعنى ان اللصـــوص يتخذون مكانهم فى البحر وهم يحسون بالراحة والامن، وهذا ما يدفعهم الى ارسال سباح حتى الصخور غير مبالين بوجودنا فى المنطقـــة ·· هل ادركمـــا نعنى اليه ؟ ·· اذن ولنعلم بأنهم يملكون باخرة !

وصاح الشرطى : وانت فلتعلم بأنه ما من باخرة خرجت او دخلت الى الميناء او يخت او قارب الا ولجأنا الى تفتيشه ، وهذا ما تقوم به أيضا كافة نقاط حراسة الشواطىء .. اتسمع ما أقول يا تمبلار ؟ ما من شىء ؟ ولعلك الان تشعر بالخجل ؟

ولم يحرك سيمون ساكنا وأردف يقول :

ــ أقمت بالبحث فى مخازن الوقود ؟ .. وخزانات المياه وقـــاع هذه البواخر ؟ ·· وهل بعثت بـــأحد الغطاسين لملاحظة جوانب الباخرة فلعل فيها أماكن خفية تمسك بالاشياء عن طريق مغنطة .. لا .. لم تفعل ؟ اذن فلتحتفظ بما لديك من آراء ودع لى وجهات نظرى ..

وفى تلك اللحظة دق رنين الجرس الخارجى وكان الطارق اندريه جان مندوب شركة التأمين الذى لم يتأخر عن الحضور لدى سماعه خبر استعادة اللوحات .

وقطب القديس حاجبيه وأدركت ترينا مدى ما يشعر به الرجل من ضيق . ولذا قامت بالانتماء به جانبا لتوضح له الامر ..

ــ لقد ابلغه هنرى .. رغم اعتراضى ولكنه رفض الاستماع الى .. ولقد قرر ابلاغ شركات التأمين عقب تقريره دفع الفدية ..

وسألها سيمون : وهل يعلم هذا المدعو اندريه كيف كنا ننوى مراقبة اللصوص ؟

ــ لا .. ولعلك .. لا تسىء الظن بزوجى .. ارجوك يا سيمون ..

ووضعت يدها فوق ذراعه وتطلع اليها وقد لاح فى عينيه بريق ينم عما يكنه للمرأة من عطف وقال مطمئنا اياها : منايا عزيزتى ..

واستدار ناحية القادم الجديد ليسأله :

ــ لعلك تشعر بالسعادة يا سيد جان ؟

وقال الرجل: هذا يتوقف على المبلغ الذى ينوى السيد هنرى مطالبة شركات التأمين به ؟

وانني لاتساءل عما اذا كانوا سيقرون مالجأ اليهمن تصرف ؟

وصاح الشرطى : ماذا كنت أقول لك ؟

ومضى يطلع الرجل على ما وقع من احداث خلال الليلة وكيف استطاع احد السباحين بلوغ الصخور دون أن يراه أحد وبالتالى أخذ النقود واعادة اللوحتين .. واختتم الحديث بقوله :

ــ وهكذا استعاد السيد فينار لوحاته بثمن باهظ؟ فما رأيك ؟

وقال مندوب التأمين : انهــا رواية مثــيرة وتدعو للدهشة .. وانني اعترف بعدم ادراكى لما يعود عليكم من فائدة لقاء هذه المبادلة ؟

وصاحت ترينا : اتراك نسيت اللوحات ؟ لقــد استعدناها .

وكان جان هو الاخر يحدق بسيمون وابتسم للرجلين وما لبث ان اردف يقول :

ــ ولتتصوروا دهشة منيتجولون على الشاطىء او حتى بعض من يحبون السباحة ليلا عندما يكتشفون إحد الضفاضع البشرية يخرج عليهم من الماء ؟ لا شك انه

يحاول اقناعهم بأنه يمارس صيد الاسماك فلا يلبثون أن يصرفوه ولكن ..
واردفت المرأة قائلة : ولكن ذلك لن يحول دون قيامهم بالتحدث عما جرى .. وبهذا يتعرض الرجل للمخاطر .

وقال مندوب التأمين مؤيدا ذلك : هذا صحيح .

وكان الشرطى يبدو مستخفا بما يسمع . . واستطرد سيمون يقول :

ـ حسنا .. وكيف عمد صديقنا الزائر للحصول على النقود دون أن يراه أحد ؟ اظن ذلك بالعودة الى باخرته مباشرة بعد أن أنجز مهمته بنجاح .

وتمتم الشرطى : ان يختا واحدا لم يغادر الميناء هذه الليلة .. ولا تنس اننى كنت أراقب الخليج بالمنظار ؟

ـ ولهذا فقد يتعلق الامر بزورق أو قارب .. وان كنت سأذهب الى أبعد من ذلك .. وسأله جاكمون ساخرا : الديك فكرة اخرى زائفة ؟

وربت القديس بيده على ركبتى الرجل بطريقة ودية قبل ان يضيف :

ـ ولكن اين ذهب القارب » : لو انه اتجه ناحية الميناء لما صعب علينا العثور عليه ؟ بل ان الامر يتعلق بقارب احد اليخوت وهذا يصعب الاستدلال عليه ..

وضغط المفتش جاكمون على اسنانه ومضى يذرع الغرفة ذهابا وايابا ، واخيرا توقف امام المائدة الموضوع فوقها اللوحتان وانحنى يتأملها وما لبث أن رفع رأسه وقد راح الجميع يتطلعون اليه صامتين .. وفجأة قال :

ـ وهكذا ينتهى بك الامر الى التمسك بفكرة اليخت الذى يتخذه اللصوص وكرا لهم .. وها أنا اعاود القول بقيامنا بتفتيش كل ما بالميناء من يخوت !

ـ وأعود فأكرر لك بأن ذلك يستحيل واقعيا .. فالامر هنا لا يتعلق بمحاولة العثور على بعض الاسلحة ولعلك تدرك ان اخفاء احدى اللوحات المنزوعة من اطارها امر يسير لا يحتاج لدهاء كبير ..

ـ والان .. ما الذى تهدف اليه يا عزيزى ؟

وتدخل اندريه جان قائلا : لعلك تنوى العمل لحسابك ؟ وان تحاول العثور على هذا اليخت ؟ وعلى كل فستكون الغنيمة أكثر بكثير من قيمة الجائزة التى تعرضها شركات التأمين ؟

وقال تمبلار : ما الذى يجعلكم تعترضون جميعا ؟ لتعلموا بأننى أفضل العودة الى السجن .

وكانت ترينا أول من اقرت اقتراح سيمون وتلاها زوجها .. خاصة وانهما كانا يثقان بالقديس الى أبعد الحدود ! .. ألم يسترد اللوحتين ؟.. بالاضافة الى ما يتمتع به من رضاء العديدين فى أنحاء العالم ..

وقال سيمون : شكرا يا هنرى وان كنت اجد السجن أكثر راحة.. وما الفائدة التى ترجى من الالقاء بنفسى وراء مغامرة بينما الضربات توجه الى .. من الشرطة ومن العصابة ؟ ولذا فاننى افضل الزنزانة وهذا صديقنا جاكمون يعمل على ادانتى :

واتجه ناحية اللوحتين وقد بدأ معجبا بهما وغير متابع لما يدور بين جان وجاكمون الذى كان يبدو ثائرا .. وما لبث ان اقترب الشرطى من سيمون وهو يقول له بحرارة :

ـ ولنفرض اننا وافقنا على ماتراه فماذاتنوى القيام به ؟

ـ سأظل راقدا فوق سريرى فى السجن واضعا ذراعى تحت راسى ومدخنا ..

وقاطعه المفتش بقوله : لا ٠٠ لا داعى ٠٠ لهذه الامور .. ان على المرء ان يتفاعل عندما يركن الى الهدوء

ـ وماذا تقترح أيها المفتش ؟

كان جاكمون يود ان يعامل هذا المغامر بما يستحقه، ولكنه كان عاجزا عن القيام بخطوة ما بعد ما بدا الطريق امامه مسدودا .

ـ علينا بالمضى وفق ما تراه ٠٠ اتوافق ؟

وبدا القديس سعيدا .. وتناول زجاجة الشمبانيا الموضوعة امامه بهدوء وسكب لنفسه كأسا قام بارتشافه

ـ اننى أشعر بأنك سترفض .

ـ ومع ذلك فعليك رغم هذا ان توضح خطتك .

ـ على ان لا تحاول معاقبتى بعد ذلك .. هل توافق ؟

وقال له جاكمون باقتضاب : نعم

ـ حسنا .. عليك بمساعدتى على الاقتراب من أصحاب اليخوت .. ولسوف تساعدنا وجوههم وليس مراكبهم على التقدم فى مهمتنا الى الامام .

وتمتمت ترينا : اننى لا ادرك بوضوح ما تسعى اليه .

ـ لعلنا قد اتفقنا فى الرأى على أن الضفدع البشرى قد اتجه صوب يخت موجود فى كان أو بأكثر تقدير فى انتيب .. هل من اعتراض ؟

ولما لم يتعرض احد .. أردف قائلا :

ـ وما اظن السياح والمصطافين يرحبون بزيارتى لهم ٠٠ ولذا فيجب ان يتم الامر دون ان يفطنوا الى ٠٠

ونظرا لانه توقف عن الحديث فقد حثه جاكمون مشجعا :

ـ لتواصل حديثك يا سيمون ٠٠

واتجه القديس ناحية هنرى وقال له :

ـ انت يا هنرى أحد القائمين على ادارة ملهى اليخوت ٠ اما عن صديقتنا ترنـا فهى ربـة بيت لا تقارن ٠٠ هل هناك من اعتراض ؟

وابتسمت له السيدة ، بينما اردف يقول :

ـ اننى اطلب اعداد حفل يحضره كل اصحاب اليخوت الموجودة حاليا بالميناء ، وعندئذ نتجه بالشبهات الى من يتغيب وما أظن اصدقاءنا يتورطون فى ارتكاب مثل هذا الخطأ الفادح ٠

وتمتم جاكمون انها فكرة صائبة خاصة .

واننى لا أجد فائدة ترجى من ورائها .. اللهم الا اعطاء اللصوص فرصة ثانية لسرقة لوحات السيـه فينار ٠٠ وهل هذا هو ما تسعى اليه ؟

وقال له سيمون : ـ انك لاتفكر بعيدا ياجاكمون ٠٠ ولعلك لا تدرك باننى قضيت العديد من الاعوام وسط هؤلاء اللصوص وما اظننى عاجزا عن ان اتعرف على احدهم اذا ما قابلته ٠٠ وتلك هى فرصتنا الوحيدة ؟

ـ وهل تعتقد بأن اللصوص سيلبون دعوة السيد فينار ؟

ـ نعم ٠٠ وفيما يتعلق بك فانه يتعين عليك التحرى عن دافع عدم حضور المتخلفين ٠٠ وعن نفسى فلسوف اقوم بزيارتهم فيما بعد ٠٠

وهز رجل التأمين رأسه ·· وقال « ان الامر يستحق المحاولة » ·

فقال الشرطي غاضبا : ـــ وكيف يتسنى لك التعرف على المشتبه فى أمرهم وهم يعلمون انك سجين ؟

ـ لقد فكرت فى ذلك ولسوف اكون متنكرا ·· ولعلك الان تعترف يا عزيزى جاكمون بما لدى من مزايا ؟

وساد صمت كان فينار اول من قطعه :

ـ نعم ·· نعم ·· انها لفكرة رائعة ··

وصاحت ترينا : ـ حقا ولتعتمد على سيمون ولسوف اقوم بتوجيه الدعوة للجميع ·

وقال سيمون للشرطى : ـ والان ما رأيك يا جاكمون ؟ وماذا تختار لى ؟ الحفل ام الزنزانة ؟

ورد عليه المفتش : ـــ لعلك تريد معرفة رأيى بصراحة ؟ ·· لتعلم باننى ما كنت احبذ الفكرة اذا ما كان يتعين على الانفاق من اموال الشرطة وأما وقد وافق السيد فينار على القيام بذلك فاننى أوافق على اعطاء فرصة اخيرة للقديس ·· نعم ·· ولتدرك بأنه فى حالة اخفاقك بالامساك باللصوص فلسوف القى بك وراء الاسوار ·

وتناول قبعته وقام بوضعها فوق رأسه بعصبية واتجه صوب الباب وما أن ادرك عتبته حتى توقف ليقول :

ـ ولتذكر هاتين النصيحتين ، لعك تعلم بأن هناك اثنين من رجالى فى الحديقة وهما لا يترددان فى اطلاق النار عليك فى حالة محاولتك الفرار .

ـ شكرا لما تولينى من ثقة يا صديقى جاكمون »

ـ وثانيا وهذا يتعلق بك ياسيدتى : ان تعجلى من حفلك ··

وغادر المكان وما لبث ان عاد ادراجه ليقول :

ـ ارجو المعذرة ـ طابت ليلتكم ٠٠

وظل الاربعة يتبادلون النظرات طويلا ، بعد ما غادر جاكمون المكان وقد اشعر سيمون بانه مهدد الخطوات ، وكان فينار متضايقا وأما ثرينا فكانت واثقة فى القديس ومقدرته الخارقة .. وما لبث سيمون ان استدار ناحية اندريه ٠

ـ لماذا لم تدل برأيك يا سيد جان ؟

ـ لانه لم يكن لدى ما اقوله ٠٠ ولقد تحدث جاكمون نيابة عن اثنين ٠٠ وربما اكثر ٠٠ اننى الان ذاهب الى سيارتى فهلا رافقتنى ايها القديس ؟

وقال الاخير : بكل سرور ٠٠ وهو يلتفت مبتسما الى ترينا ٠٠

وخرجا الى حيث كان يخيم الظلام ٠٠ والسكون يشمل الارجاء المحيطة بهما ،

ولم يبصرا برجلى جاكمون .. وما ان ادرك جـــان العربة وفتح الباب ليدلف اليها حتى استدار يتفحص وجه سيمون وما لبث ان قال له :

ـ اننى اود توجيه سؤال لك وان كان لا يرضيك ٠٠

ـ اننى اتوقع كل شىء فى هذه المهمة ٠

ـ اننى اتساءل عما اذا كانت الجائزة التى يعرضها التأمين تهمك ؟

ـ ولم لا ؟

ـ ومن يدرى فلعلها تكون ضئيلة مقارنة باللوحات التى لم تسترد بعد ؟

وجذب سيجارة وانتهز فرصة اشعالها ليقول :

ـ ان الجائزة تقدر بخمسين الفا من الدولارات ٠٠ ولعلك تدرك كم تكلف فينار لاسترجاع لوحات معدودة ؟

ـ أتراك تشك فى أمرى ؟ .. لو اننى كنت زعيم

العصابة ما مكنت احدا من ذلك ؟

ــ ان ما اقوم به من عمل يحتم على اتهام الجميع يشمل ذلك المسروقين والشرطة وحتى نفسى ؟

ــ اذن فلا داعى لدهشتى ؟

واتخذ جان مكانه فى العربة وانحنى القديس تجاه النافذة وقد لاح على وجهه الاطمئنان وكأنه يواسى من يقوم بالدفاع عنهم ··

ــ لتصلى حتى نوفق فى مهمتنا ··وعليك الان بالعودة الى بيتك وانت على ثقة من القديس ·· ولتدرك باننى قابض محالة على من يقوم بتوجيه اللصوص وذلك حفاظا على شهرتى ··

الفصل الحادى عشر

كانت جريتا قد غادرت قمرتها فى وقت متأخر من الصباح واتجهت ناحية الامير الذى كان جالسا تحت المظلة فى مؤخرة اليخت يطالع صحيفة وتطلع اليها الرجل دون ان يحاول مواراة اعجابه اذ كانت المرأة ترتدى لباس البحر الذى جعل مفاتنها واضحة ·· وكانت جريتا تستحق عن جدارة كلمة رائعة .. كانت امرأة مهيأة للعواطف ·· وكان شعرها ينسدل فوق اكتفاها · وعندئذ قال الامير بصوت خافت :

انك رائعة يا جريتا ..

وقالت له وهى تنحنى ناحيته تطبع قبلة على شفاه :

ــ شكرا يا عزيزى .. اتراك استمتعت بنوم هادىء؟

وقال لها : الحقيقة انه كان مزيجا من الارتياح

والقلق ؟ ·· واما عن الارتياح فذلك لقضائنا بعض الوقت معا دون ان يزعجنا احد بالاضافة الى اوراق اللعب وابتسام الحظ لنا ·· نعم لقد كانت ليلة لا تنسى ··

وظلت تتطلع اليه .. ثم قالت : — ولكنك تتحدث عن « القلق » ؟

ـ ذلك لانى تذكرت ما تبادلتما انت وشميدت من كلمات لحظة عودتنا الى الزورق ·· اتذكرين ذلك يا جريتا ؟

وتبدلت ملامحها ولم يحاول الامير التراجع ومضى يقول :

ـ انك لا تريدين الرجوع بذاكرتك الى الوراء · فلقد قمت بسؤال الربان عندما ابصرت به · « لعل احدا لم يضايقك يا اوتا » ··

واعترضت المراة بتخاذل : هراء .. كنت اسأله عما اذا كان لم يتضايق لوجوده وحيدا .

وهز الامير رأسه وقال :

ـ بل سمعتك تقولين له ما ذكرته لك قبلا ··

ـ واحسب انه رد على بانه امضى الوقت فى السباحة ·· فهل فى الامر ما يضايقك يا ديمترى ؟

وضحك الرجل عاليا ·

— ايبدو امرا عاديا ان يظل فى الماء ساعة من الزمن ؟ هذه بالاضافة الى قولك له ! هل كانت دماؤك حارة ؟ ورد عليك بقوله « لا ·· فقد كانت المياه منعشة ··

وتنهدت وما لبثت ان قالت :

ـ ـ انك يا عزيزى ديمترى اكثر الازواج حماقة ·· وتعمل دائما على تحميل معانى خفية لكل ما تلتقطه من كلمات ·· وكأنك غيور ··

ـ انه حالى يا جريتا ٠٠ بالاضافة الى ما اعانيه من قلق بسبب ما يسديه اليك شميدت من نصائح ٠٠

ومضت جريتا تتفحصه وقد لاح الغضب فى عينيها :

ـ لتلتزم الصمت يا ديمترى ٠٠ لقد حذرتك مرات عديدة ولا داعى لمعاداة الكرة ٠٠

ونادت على الربان : ـ هل انت مستعد يا اوتا ؟

وسمعت صوت البحار يصعد اليها من اسفل ، وانحنت توضح : ـ والاقنعة ؟

ـ ان كل شىء فى الزورق ٠٠

ـ اننى قادمة ٠٠ واما انت يا عزيزى ديمترى فلتنتظر قليلا ٠٠

ـ اهناك تمرين آخر على السباحة تحت الماء ٠٠ ألا تشعرين بلارهاق ؟

ـ لا ٠٠ وما كان حالك ليختلف اذا ما كنت اصغر سنا ياعزيزى ٠

كانت جريتا تدرك مكمن الضعف عند الرجل ولذا اسرعت تكيل له الضربات حتى بدا شاحب الوجه ، واستدارت تلقى له بابتسامة قبل ان تقفز الى الزورق حيث كان اوتا فى انتظارها ٠٠ ودوى صوت المحرك وانطلق القارب متجها صوب الجزر ولم يكن هناك من يلاحظها خاصة وقد كانت مختلف انواع القوارب والزوارق واليخوت تشق الخليج فى اتجاهات متفرقة ٠٠ وظل اوتا يتولى القيادة صامتا ثم تحدث دون ان يلتفت خلفه : لقد سمعت حديث الامير .

والتزمت الصمت وعيناها متعلقة بالجزر التى باتت قريبة واستطرد اوتا يقول :

ـ ان الكهل قد بات مزعجا ٠٠ ولتعلمى بانك تكونين على سجينك عندما تكونين فى الماء تمناما كالسمكة

وعلى جين غرة سألها وهو يحدق فيها : **ومتى تلجئين للتغيير ؟**

وأعادت المرأة الكلمة : **التغيير ؟ ولماذا افعل ؟**

– وذلك حتى تشعرى بالدفء ! **وهل تراك نسيت وعدك ؟**

– لا يا أوتا فانني لا انسى ابدا الخير او الشر ..

– اذن .. متى نصبح معا ؟

– ربما عند الانتهاء من المهمة التى تجمع شكلنا اليوم ،ولتنظر امامك .. خاصة واننى لا احب ان اختلط مع ما تحمل من طرود .

وتنادى أوتا قاربا شراعيا كاد يصطدم بها .. ومرق على مقربة من الحافة القريبة للجزيرة وعندئذ اطلق ضحكة عالية وهو يقول :

– لكم كنت اود مشاهدتهم الليلة الماضية .

ولم ترد عليه فقد كانت مشغولة بمراقبة حافتى الجزيرتين ، فعلى يمناها تقع سانت مارجريت وعلى يسارها سان هوفورا .. وكانت هناك باخرة سياحية تقوم بأنزال ما لها من سياح فوق الجزيرة وقد اتجه بعضهم ناحية الدير بينما راح البعض الاخر الى مقهى يقع تحت ظلال الاشجار ..

وتمتمت جريتا : – ان هـذا الزحـام لا يلائمنـى .

وشرع اوتا فى الحد من سرعة الزورق .. وما لبث ان القى المرساة فى الوقت الذى كانت فيه جريتا قد اخذت فى الاستعداد للغوص بعدما وضعت القناع فوق رأسها وامسكت باحد اجهزة التنفس والقت بنفسها الى الماء .. وتم ذلك سريعا وما لبث اوتا ان لحق بها وراحا يغوصان معا ، ولو ان هناك من ابصر بهما لاعتقد انهما يسعيان وراء بعض الاسماك الراقدة فى الاعماق .. ولكن جريتا

لم تكن ممسكة باى سلاح وكل ما هناك انها كانت تمسك فى يدها بلفافة تحيط بها مادة عازلة للماء ·· وواصلا الاتجاه حتى القاع وراحا يبحثان عن تلك الصخور المرتبة على هيئة قوس والتى تغطيها بعض الاعشاب البحرية ·· ومضى اوتا يزيح الاعشاب ويحرك الرمال ـ ورفع يده مشيرا لجريتا التى لحقت به ··

كانا امام الخزانة ، وما كانت هذه الخزانة الا بعض انابيب الهواء المضغوط الخاوية والتى كانت محكمة الاغلاق · وتناولا احدى الانابيب المفروشة فى الرمال ، وقاما بفتحها ليدخلا فيها ما كانت تمسك به جريتا · وهكذا كان يخفيان ما يحصلان عليه من اموال ، وما يقومان بسرقته من لوحات ؟ وبعدما اغلقت الانبوبة باحكام ، أعيدت الى مكانها تحت الرمال ، وعادت الاعشاب الى مكانها تنساق وراء التيار .. دون ان يخطر ببال احد ان هذا المكان كان يخفى بين طياته ثروة لا تقدر ··

واستطاع اوتا أن يبصر من خلال القناع بنظرات جريتا التى تشع بالفرحة ، وما لبثا ان اتجها سويا الى السطح ·· وما كان احد ليرتاب فى امرهما سواء عادا حاملان او خاليان من اية اسماك .. وصعدا الى الزورق ونزعا الاقنعة وقاما بالقاء باقى اجهزة الغوص جانبا ·· وظلا ساكنين ينعمان بالشمس والهواء الى ان قال اوتا :

ـ لحسن الحظ ان الامير لا يحب هذا النوع من الصيد ؟

وقالت له ضاحكة بسخرية :

ـ لا اعتقد انه يمكنه الغوص ·· ولاشك ان قلبه المسكين ما كان ليتوى ··

وما ان تلاقت ابصارهما حتى قال الرجل :

ـ انك رائعة يا جريتا ٠٠ من كان يفكر فى اخفاء النقود واللوحات فى مثل هذا المكان ٠

ـ ولعلك لا تحاول الاستيلاء عليها ياعزيزى اوتا ..

لم يتفوه الرجل بكلمة ازاء هذا الاتهام الذى القته به جريتا ٠٠ والحقيقة ان الفكرةراودتهمرات عديدة ولكنه عاد فعدل عن ذلك خشية العواقب ٠٠ وقال يرد على المرأة بلهجة ودية :

ـ ولعلك لا تفعلين انت ذلك يا جريتا ٠

ولبثا صامتين طويلا واذا بالزورق يتراقص نتيجة بعض الامواج ٠٠ وضحك اوتا يقول : لو ان القديس ابصر بنا ٠٠

ـ ولعل رجال الشرطة الاغبياء لا يطلقون سراحه سريعا ؟

ـ محال ٠٠ فعليه اولا ان يوضح كيفية حصوله على لوحة جوجان ٠٠

ـ انك لا تعرف القديس يا اوتا ٠٠ انه اسوا من الشيطان ٠٠ وفى يوم ٠٠

ولم تكمل بعدما همت بأن تنطق به وأمسك زميلها زمام نفسه وقد لاحظ ما غشى وجهها من تعبيرات قاسية وقالت ٠٠ نعم ٠٠ وفى يوم ما ساواجه القديس ٠٠ وعندئذ اصارحه باننى سخرت منه وكيف كانت اللوحات مخفاة تحت الماء بينما كان هو يسعى الى موجان معتقدا انه بات قريبا منها .. ثم اعمل على الفتك به .. واقتله ببطء ..

وفجأة يبدو انها افاقت وقالت : هيا بنا ٠٠

ولم يزعناوتا على التو بماقالت وهذا ما جعلها تثور :

ـ الم تسمع : **هيا بنا .. لقد انتهى هذا الفصل وما** هى الا زيارتين او ثلاثا ومن ثم نرحل بعيدا ٠

وسالها البحار وهو يعمل على تشغيل المحرك :
ـ وماذا عن اليخت ؟
ـ سنقوم بتغيير اسمه ·· هذا كل ما هناك ·· ولسوف نعاود ما قمنا به هنا فى اماكن اخرى ·

وكان الزورق يتهادى فوق صفحة الماء ·· عندما قام أوتا باحاطة خصرها بذراعه قائلا : أريد ان اقبلك ·

ـ لا ياأوتا ·· اخفض ذراعك ·· فقد يرانا بعضهم ·· ولا داعى لان يتحدث عنا احد ففى ذلك سلامتنا ··

وجعلته يتطلع اليها وقالت له همسا : لنترك ذلك لما بعد ·· وضاعف من سرعته واتجه الى الميناء ·· وكان الربان شميدت برغم توجيهات الاميرة يشعر بالكراهية تجاه الشرطة والقديس وكل من يحاولون الامساك بسارقى اللوحات ·· ولقد كان على يقين من ان احدا لا يقدر على التشكك فى امر يخته ·· ورغم هذا كان الامير يوالى الاتهامات متسائلا عما اذا كان احمق مخدوعا ·· ؟ مصمما على جعلها تبوح له بما تقوم به مع أوتا من أمور يخفينها عنه .. وهل تراه مجنونا يسعى للمزيد من الترف ؟ ·· وكان الرجل يتنهد ، ويشعر بالحسرة خشية ان ينهار كل هذا الثراء الذى ينعم به ··

وفى تلك الاثناء كان القديس واقفا فى شرفة فيلا كوليت يراقب الخليج بالمنظار متابعا ما يدخله وما يغادره من يخوت ·· وهو على يقين بأن مفتاح هذا اللغز لا يخرج عن هذا المكان ، وأنه يوجد على سطح أحد تلك البواخر من يقوم بتوجيه السرقات ؟ ·· وهو شخص يتمتع ولا شك بدهاء لا يوصف حتى يسخر من الشرطة بهذه الصورة التى وضعت سيمون نفسه موطن الشبهة

ومن ثم القيام بأخذ النقود واعادة اللوحات دون ان يمسك احد بالفاعل

وسمع سيمون من يقول له

ـ كيف يمكنك ملاحظة ما يجرى من هنا ؟

واستدار سيمون وابتسم

ـ الحقيقة اننى لا أسعى باحثا ياهنرى ٠٠ واننى متفق معك فيما قلت ولذا فانى انتظر ٠٠

ـ ماذا ؟

ـ تلك التفاصيل التى اعتادت الاقدار ان تلهمنى بها فى الوقت المناسب ٠٠

ـ يالك من رجل غريب ، تمضى يوما تمرح مع جاكمون وفى اليوم التالى تبدو ثائرا ٠٠ الى اى شىء يقودنا ذلك ؟

ـ الى استعادة اللوحات بالاضافة الى المليون التى قمت بدفعها

ـ وهذا بناء على مشورتك ياسيمون ٠

ـ وهذا ما سيدفعنى للمضى الى الامام ٠٠ بالاضافة الى رغبتى فى مواجهة زعيم العصابة ٠٠ وعندما اتذكر تلك اللوحات ٠٠ واتساءل عن مكانها

وهز كتفيه وتطلع تجاه الافق وناحية الخليج وما به من جزر ٠٠

ـ ربما هناك ٠٠

ـ وأين ؟

ـ تحت الماء ولم لا ؟ ٠٠ لعلك لا تستطيع ان تتخيل ما يمثله هذا المخبأ من مساحة شاسعة ٠

وتقدم هنرى حتى لامس تمبلار وراح يطلع الى المياه الممتدة الاطراف امامه والتى كانت تسطع تحت أشعة الشمس اللامعة ٠٠ وهو لا يصدق ما قاله سيمون ٠٠

ـ هناك ؟ ٠٠ وكيف يتحقق لهم هذا ؟

ـ هذا هو ما أحاول معرفته ٠٠ ربما كان هناك كهف يصعد اليه المرء عن طريق ممر بحرى ٠٠ والحقيقة أن هذه الفكرة تراودنى منذ ان نزل الضفـــدع البشرى فاستولى على النقود وأعاد اللوحتين ٠ ولو ان هناك مثل هذه الخزانة لكانت بعيدا عن متناول ايدى الشرطة وما كان لجاكمون أو غيره أن يتطرق ظنه اليها ٠٠

وفى تلك اللحظة تردد صوت ترينا النقى وقد كانت قادمة من الخارج تبدو عليها الفرحة ويدب فى أوصالها النشاط وتشع من نظراتها الحيوية عندما أبصرت بالقديس وقالت بنبرة منتصرة ٠

ـ هاهى الدعوات ٠٠ لقد عملت على ان تقوم المطبعة باعدادها بأسرع ما يمكن تاركة ما لديها من أعمال أخرى ٠

وصاح سيمون : احسنت ٠٠ أترى ياهنرى الى أى حد لا تتشكك زوجتك فى الامر ؟

وقالت معترضة : وما الذى يجعلنى اتشكك ؟ ولتعلم بأن زوجى نفسه لا يفتأ يردد بأنه ما من أمر يصعب عليك مواجهته ونظرا لما اكنه لك من ثقة فاليك بهذا ٠٠

وقامت بوضع ربطة فوق المائدة تحتوى على الدعوات وقالت تسأل زوجها :

ـ هل أحضرت الاسماء ياعزيزى ؟

ـ منذ لحظة ٠٠ وقد بعث بها الى النادى

وسحب قطعة ورقية من مظروف ثم قال موضحا :

ـ هاك بيان اليخوت الموجودة حاليا فى كان يشمل ذلك أسماء أصحابها ومن عليها من ركاب ٠ ولسوف اتلقى بيـــانا آخـــر موضــحا به نفس الامر فى آنتيب ٠ والافضل الا نترك صغيرة من الامور لندرك ما نصبوا اليه من نجاح ٠

وتناول القديس البيان ومضى يطالعه وهو يطلق صفيرا من وقت لاخر ..

ـ اللورد الفريد فونت جراى ، وليم ب . باش لورد ، هير ولفريد بلومنسون ، فان وان بـومين ، لادى روزاليذجتنج، فينوريد سيرافينوجا ريجا، الاميـر ديمترى لينييفف ، المركيز بارودنين .

ورفع القديس رأسه وهو يردد الاسم السابق :

ـ الامير لينيفيف ؟ .. لم اكن اتصور ان ثورة أكتوبر بركتهم ومازالوا فى حال تسمح لهم بامتلاك يخوت ؟ .. اتعرف المورنج ستار هذا ياهنرى ؟

ـ لقد رأيته وهو يخت معد للسباق ، وعلى درجة عالية من الروعة .. ولقد تسنى لى كذلك مشاهدة الامير اثناء عبورى قرب اليخت وهو رجل متقدم فى السن وكأنه بقايا حطام .

وقد خلت ترينا :ـ ولقد ابصرت هناك بامرأة رائعة الجمال من ذلك النوع الذى يسعى وراءه القديس وحذار سيمون .

ـ شابة ؟

ـ انها فائقة الجمال وتتحلى بالمجوهرات .. ولو كنت رجلا لوقعت صريع هواها على التو .

وسألها هنرى بدهشة :ـ ولماذا لم تحدثينى عنها ؟

ـ هذا ما قصدت ياعزيزى حتى لا تختطفك منى .. وعلى النقيض منك فان القديس يتحلى بقلب كبير .. وهذا ما يجعله يجامل كل النسوة اللاتى يصادفنه على الطريق دون ان يتعلق بواحدة منهن .

وكانت تتحدث بسخرية مما دفع سيمون لان يقول لهاوقد علت وجهه ابتسامة .

ـ عليك بدعوة هذه المرأة الجميلة .. ولعل ذلك لا

يغضب زوجها ٠٠ هل تراها ابنته ؟
ـ لا ٠٠ بل زوجته
ـ علينا اذن بتلك النبيلة الروسية ، ولعل فى ذلك فائدة لنا ٠٠

وشرعت المرأة فى تأدية اعمالها وهى تدون العناوين على المظاريف ٠٠ وظل سيمون يراقبها وانحنى فوقها وقد احس بالرغبة فى مداعبة شعرها الاشقر . وما لبث ان قال لها بصوت عال : وعليك بعدم نسيان صديقنا اندريه جان ٠٠ خاصة وان الصغير يتشكك فى امرى انه يعتقد اننى لا أسلك الطريق السليم واعمد الى اخفاء بعض الحقائق وعليك كذلك بتوجيه الدعوة لصديقنا الطيب القلب المفتش جاكمون ٠٠٠

الفصل الثاني عشر

قالت الاميرة : ياللغرابة ٠

وذلك بعد ما تناولت الدعوة الموجهة اليها وقالت مستوضحة زوجها الذى كان قابعا على مقربة منها ٠

ـ اتعرف من يدعى هنرى فينار ؟

ـ لقد سمعت من يتفوه باسمه امامى ٠ انه احد القائمين على ادارة نادى اليخوت ولكن لماذا تسألين ؟

ـ انه يوجه الينا الدعوة لحضور حفل يقيمه لاصحاب البواخر الراسية حاليا بالميناء ٠

ـ اننى لسعيد بذلك يا جريتا حتى يتاح لى ان أظهر للناس اجمل الموجودات على ظهر اليخوت .

وتمتمت وهى تتناول البطاقة ثانية وتعاود قـراءة الدعوة : ٠٠ نعم وامسكت بالمظروف للتأكد مـن

عنوانه « الامير والاميرة لينفيف » واحست المرأة بأنها على مشارف كمين يعد للايقاع بها ، وساورتها فكرة الاسراع بالرحيل بعد انتشال الكنوز · والعمل على اعادة الامير الى رشده اذا ما حاول تعويقها ، ومن ثم الابحار صوب احد موانى البحر الابيض او الى أبعد من ذلك حتى تكون فى مأمن من المخاطر ·· وقبضت حاجبيها وعادت تطالع الدعوة بامعان وكان موضحا بها « ان ان الحفل سيكون تنكريا وانه يمكن ارتداء اية ملابس ترجع الى كافة العصور » وبدأت تستعيد هدوءها وقد أدركت بأنها ستظل مجهولة لدى الموجودين بالحفل ·

- عليك باختيار ما يلائمك من التنكر ياعزيزى ·

وقاطعها الزوج باعتداء : - ان الامير لينفيف لا يتنكر ابدا ··

- ذلك ضرورى ياعزيزى والا اضطررت للذهاب بمفردى ، ولكن ماالذى يحول دون ذلك ؟ سأصطحب أوتا ليرافقنى الى الحفل ··

وراحت المرأة تفكر بجدية : لقد وجدت فى الدعوة ستارا لعملية كبيرة يمكنها القيام بها ، وذلك بالدخول الى بيت آل فينار ومشاهدة ما لديهم من لوحات نادرة ، وبالتالى العمل على سلب اللوحتين او غيرها مما قد يلقى أعجابها من لوحات أخرى ، ويالها من ضربة تليق بمقامها ··

وكان الامير قد عقد العزم على الرضوخ لارادتها بمجرد سماعه لاسم شميدت ولذا قال لها :

- سأذهب معك ياجريتا ·· ولسوف اقوم بارتداء ملابس الكولونيل التى امتلكها محققا رغبتك فى ان اتنكر ··

ولاح الرجل مترددا ، وردت المرأة بكلمات هادئة لم يدرك الرجل ما تنطوى عليه من سخرية :

ـ بل ستقوم بارتداء ملابسك الاصلية ·· نعم · فهكذا تبدو طبيعيا ·

ويبدو ان الفكرة راقت للرجل فقال لها

ـ حقا ان هذا يرضينى ·· وذلك بالعودة الى تلك الاحذية الطويلة والسترة البالية وبذلك ابدو فقيرا معسرا كما كانت الحال بالنسبة لى ··

وقالت مصححة : ان هذا المنظر سيكون مقبولا الى حد ما ·· ولعلك تصدقنى

وحقيقة ان الامير بدأ معقدا بنفسه بعد ما قام بارتداء ما طلب اليه عن غير طيب خاطر ، وراح يتأمل نفسه فى المرآة التى تحتل احد اركان الصالون : واخذ يدور حول نفسه ويفتل شواربه وقالت له الاميرة : انك رائع ياعزيزى ديمترى ·

وقفز الامير من مكانه وكأنه غلام قد أمسك به والده على حين غرة .. وكانت جريتا قد عادت لتوها الى الغرفة دون ان يفطن ديمترى الى دخولها · وذهل الرجل ووقف مبهوتا يتأملها . وكانت ترتدى ثوبا من طراز بابمباد ويكشف عن صدرها الذى يضاعف من جماله تلك الجواهر التى كانت قد استعانت بها لزيادة مفاتنها ··

وتنهد ديمترى بحسرة وهويقول ـ آه ليتنى اعود شابا

وقاطعته قائلة : ـ عندئذ كنت ستغار من الكثيرين

واتجها الى القنطرة التى تؤدى الى ناحية الرصيف ، حيث كان أوتا يتجول · وقالت له الاميرة : ـ لك ان تفعل ما تشاء الليلة ياأوتا ·· وعليك رغم هذا ·· وبدت مترددة ومالبثت ان قررت المضى وان كان ذلك بنبرة خافتة :

ـ عليك بالتوجه الى المقهى المعتاد بعد ساعة على الاكثر ، واذا ما اقتضى الامر سأقوم بالاتصال بك تليفونيا • وعند الضرورة ستحضر لاصطحابى من الحفل بالزورق •

ونظر لاقتراب ديمترى فقد اضافت بصوت مرتفع •

ـ عليك بالمرح قليلا •• والاستمتاع بوقتك •

وعبر الاثنان المكان ليستقبلا احدى سيارات الاجرة التى كانت فى انتظارهما ، واتخذت جريتا مكانها الى جوار زوجها ، ومضت السيارة الى مكان الحفل . وقالتتحدثه

ـ اننى لسعيد يا عزيزى ديمترى بقبول هذه الدعوة حتى أتمكن من تفهم أهالى هذه المدينة •• وخاصة عائلة فينار التى تمتلك العديد من اللوحات الرائعة • ولذا فاننى أراها ليلة رائعة •

وقامت باخراج قناع من الحقيبة الخفيفة التى تحملها وعندئذ قال لها الامير متضايقا :

ـ لعلك لا تقومين بوضعه على وجهك يا جريتا ؟

ـ وما الذى يحول دون ذلك ؟ ما وجه اعتراضك ؟

ـ ان الدعوة لا تشير الى حفل مقنع ••

اذن ما كان الامر ليسعدنى ؟ ليهدأ بالك يا عزيزى •• فلسوف أقوم بخلعه لتحية الحاضرين وأعاود وضعه على وجهى •• وهكذا يحاول الجميع معرفة صاحبة هذا الوجه المقنع ؟

ـ خاصة وأن تلك التى تخفى وجهها على درجة رائعة من الجمال ••

وابتسمت له وكانت فى الحقيقة مازالت تأخذ حذرها منه •• خاصة وانها كانت لا تدرى ما يخبئه الحفل من مفاجآت ، وهكذا فلا غنى عن القناع لدور المخاطر

فيها ··

وكانت الفيلا مزدحمة بالزوار الذين حضروا جميعاً دون أن يتخلف منهم أحد ، وهكذا كانت فكرة تمبلار قد لاقت أكثر مما قدر لها من نجاح ··

كان المكان يزخر بالالوان العديدة فهناك من يرتدون أزياء الاباطرة ، والمصارعون والمهجرون ومارى انطوانيت والسلاطين والى غير ذلك من الطرائف ·· وهناك فى أحد الاركان كانت الفرقة الموسيقية تقوم بعزف الانغام الهادئة غير الراقصة : بالاضافة الى ثلاث لاشباع حاجة الساعين للطعام · وكانت الاولى منها تقع فى الصالون والاخرى فى الشرفة وأما المائدة الاخيرة فقد كانت فى الحديقة ، وكان الخدم ينتشرون بين الجماعات الفرحة والنسوة الجميلات اللائى يتحلين بأنفس اللآئى ·· وامام مدخل البيت كان يقف مهرج وحسناء فى استقبال القادمين ·· وهكذا أتيح لفينار وترينا أن يبصرا ثانية بأصدقاء وبوجوه مرت بهما قبلا بالاضافة الى آخرين مجهولين بالنسبة لهما ، وكانا يوجهان لكل قادم ما يناسب ثيابه من تحية ، وما لبثت ترينا أن صاحت عندما رأت جريتا :

ـ يا الهى ·· ما كان لك أن تختارى غير هذا الثوب الذي يلائمك تماما أيها المركيزة ؟

وقالت لها جريتا ·· أرجو المعذرة فلست سوى أميرة ··

وضحكت قليلا والتفتت تنظر فيما حولها وقالت لهنرى :

ـ لقد سمعت يا سيد فينار بأنك تمتلك أجمل لوحات سيزان ·

وقال الرجل مبتسما : ـ لست أعرف ان كانت اللوحة

كذلك ياسيدتى . . وعلى أى حال سيمكنك مشاهدتهاهناك فوق هذا الجدار . . ولم تكن اللوحة هناك منذ أيام وهاهى قد عادت لحسن الحظ . وبلا تردد اتجهت ناحية المكان الذى أشار اليه والامير يتبعها ·· وكانت قد وضعت القناع ومضت تتمشى بلا عجلة ، وراحت تطالع الحاضرين بنظراتها باحثة عمن يكون بينهم من معارفها أو من أعدائها ولم تتعرف على أحد منهم ·· وتوقفت أبصارها عند وجه هذا الشاب الهادىء ·· لا ·· ان وجهه الباسم لا يذكرها بشىء ، وكيف كان لها أن تتصور بأن ذلك الشاب لم يكن سوى آندريه جان مندوب التأمين والذى نسى وسط روعة الحفل الهدف الذى أقيم من أجله ؟ ووقفت أمام اللوحة تتأملها والامير على مقربةمنها ·

ـ حقا انها رائعة ··

ـ نعم والسيد فينار محظوظ بامتلاكه مثل هذه اللوحة النادرة ·

ومن ورائها مر من تعود معرفته بها الى عام ١٩٠٠ ، ولكنها لم تبصر به جريتا والا كانت قد كشفت عن حقيقة شخصيته رغم التخفى الذى يتستر تحته ، فلقد كان القادم الجديد هو المفتش جاكمون الذى حضر الى يختها منذ أيام قليلة باحثا منقبا بين جوانبه ·· وما لبثت جريتا أن راحت تنصت ، فعلى بعد خطوات منها كان هناك نيرون ضخم يقف وقد أحاط رأسه بالزهور وهو يتحدث مع أحد الفرسان ، وقد أمسك كل منهما بكأس فىيده وكان الفارس يبدو معتزا بنفسه وقد وضع سيفه الى جانبه ، وكان أسمر اللون ذا عينين زرقاوين لا تقاوم ويميزه ذلك الشارب الدقيق وتلك الذقن الصغيرة وطابع الجدية · وكان الفارس يقول لمحدثه :

ـ لا فانه لم يتسن لى ادراك كان ، فلقد أصاب العطب

أحد المحركات أثناء عبورى ماجورك ولذا فاننى مضطر لاصلاحه باحدى ترسانات تولون ٠

وقال له الامبراطور الرومانى : انه أمر مؤسف ٠٠ اليس كذلك ؟

وضغطت جريتا بأصابعها فوق ذراع الامير واستدارت تنظر اليه : وهى تسترق السمع وهذا ما دفع الامير لان يسألها :

ـ ما الذى حدث يا عزيزتى ؟ انك تلوحين مضطربة ؟

وتمالكت ومضت تقول :ـ لا شىء يا عزيزى ديمترى ٠٠ لا شىء بتاتا ٠٠ لقد استمعت الى صوت اعتقدت أننى أعرفه ولكن كيف يمكن أن يكون ذلك ممكنا ؟

ـ صوت صديق ؟

وأجابته بنبرة خافتة : ـ نعم .. صديق .. ومكانته كبيرة فى نفسى ، وكنت أعتقد انه بعيد ٠٠ بعيد ٠٠ وربما ميتا ٠ ولم يبد العزيز ديمترى مندهشا لذلك بقدر ما كانت المرأة وعلى النقيض من ذلك وجد الامر عاديا ولذا قال لها فى هدوء :

ـ انها مصادفة يا جريتا ٠٠ وهذا يحدث كثيرافلقد يتشابه صوتان ويختلف الوجهان تماما ٠

ولم تعلق واستدارت ببطء باحثة عن صاحب هذا الصوت ، وها هى تكتشف الى جوار نيرون الثرثار هذا الفارس الفارع القامة ٠٠ ماذا ٠٠ انه هو ؟ ولم تصدق ماترى ٠ ما الذى جعل القديس يحضر هذه الليلة الى بيت فينار ؟

وشعرت جريتا بالدوار يعتريها ٠٠ لقد كان الصوت لسيمون تمبلار ذلك الصوت الذى يبعث القلق فى أعماقها ٠ وراحت تتطلع الى الرجل المعتد بنفسه برغم كافة الظروف التى تعترض طريقه ، وتقدمت خطوة الى

الامام بهدف التأكد مما أمامها ٠٠ وبعد ما تفحصت الفارس ذا الشارب والذقن أدركت بأنها على صواب وما كانت تلك الاشياء الاضافية لتجعلها عاجزة عن ادراك حقيقة الامر ٠ خاصة وانهما تقابلا قبلا ، وكان يحمل عندئذ لقب الكونت دى كريستامونت وكان لها معه صراع مرير ٠٠ وجذبت الاميرة رفيقها ناحية الشرفة واستندت على حافتها طويلا ـ والتزم ديمترى الصمت اذ أدرك انها نهبة بعض الافكار ، ووجد الاجدى أن يتركها تهدأ والا يسألها حتى تحين اللحظة التى يراها ملائمة لذلك ٠٠ وكانت جريتا تفكر فالموقف يتطلب سرعة التصرف ، وظل الوقت يمضى وبدأت الخطة تتكون فى ذهنها ٠ ان الامر يتوقف على اوبا شريطه الا يتوانى عن الحضور ٠٠

واستدارت تقول لزوجها وقد تلاشى ما لديها من قلق :

ـ اننى مضطرة الى ان اتركك يا عزيزى ديمترى ٠

وانتاب الرجل الاحساس باليأس ٠٠ بينما أضافت الاميرة وهى تداعب وجهه :

ـ ما هى الا لحظات حتى أصلح شعرى ٠٠ الى اللقاء بعد قليل ٠٠ واليك هذا ليسرى عنك أثناء غيابى ٠

وكانت قد تناولت كأسا من الخادم الذى مر على مقربة منها وقامت باعطائه لزوجها العزيز ديمترى الذى تنهد وهو يهمس اليها :

ـ لا تتأخرى فى العودة ٠٠

وبخفة مرقت بين الجموع وهى تراقب الفرس الذى كان يتنافس فى ذلك الوقت مع السيدة فينار وهذا ما جعلها تتمعن فى الامر ، بعدما أيقنت بأنهما على علاقة طيبة يدل على ذلك طريقة حديثهما بلا ادنى تفرقة ٠٠ وتقبضت أصابع الاميرة وقد استبد بها الغضب وقد

أحست بأن هناك من يحاول الايقاع بها ٠٠ بالاضافة الى وجود القديس الذى تعلم بأنه سجين ٠٠ نعم ان ما فطنت اليه صحيح ٠٠ ان هناك كمينا فى هذا المكان ؟ وقد أعد للامساك بها ؟ ولم تتصور جريتا أن يقع لها ما أرادوا خاصة وأن الحذر لم يكن ينقصها لتتفادى الوقوع فى كمين أيا كان ٠٠

وحاول مدعو اتخذ سمة المجانين أن يمسك بها ٠

ـ ألا تستمعين أيتها المركيزة لمجنون مثلى ؟

ـ أرجو المعذرة فان هناك من ينتظرنى ٠٠

وقال الاخر معلقا :لعله يكون أحدالملوك ٠٠

واندس الرجل بين الحاضرين يبحث عن مغامرة جديدة ٠

ولم يكن مرور الاميرة يسيرا اذ كان غالبية الرجال يحاولون ايقافها للتحدث معها او اجتذابها الى حد أركان الحديقة الهادئة ، وبدأت الانغام تعلو واذا بأحد الحاضرين يحاول الامساك بها لترأقصه ولكنها دفعت به وعيناها متجهتان ناحية الفارس ٠٠ كان هو الوحيد الذى يسترعى اهتمامها من بين الجميع .. وادركت اخيرا الغرفة المخصصة للسيدات لاصلاح ملابسهن ودلفت اليها ، والحقيقة انها ما كانت تسعى لتصفيف شعرها بل كانت تسعى لشىء تعرف انه لابد أن يكون فىالمكان ٠٠ وأبصرت بالتليفون وأمسكت بالسماعة مدركة بأن الخط مراقب بلا شك ٠٠ واذن فعليها الاخذ بأسباب الحذر ٠٠ وسمعت من يقول على الجانب الاخر من الخط « آلو ٠٠

وقالت مستفسرة « هل الامريكى موجود ؟

ـ نعم ٠٠ ها هو ٠٠

وتنهدت جريتا ٠٠ بعدما أدركت بأن أوتا قد تصرف بحكمة ٠٠ وسمعته يقول « ألو » ٠

وحتى تحول دون أية أسئلة قالت بلهفة ؟انني أتحدث اليك وعليك بلقائى كالمتفق عليه بسرعة» وأعادت السماعة الى مكانها ٠٠ وهكذا لن يتمكن أحد من ادراك معنى المكالمة أو يتكهن بشخصية المتخاطبين ٠٠ ولاشكأن أوتا لن يتوانى عن الحضور بأسرع ما يستطيع ٠ وأسرعت تغادر الغرفة عندما فتح الباب واذ بسيدة تقف أمامها جاءت لاصلاح هندامها وقالت الجريتا :

ـ هل توافق السيدة على مساعدتى ؟

وقالت الاخيرة باهتمام وقد وجدت فى ذلك فرصة للابتعاد عن الزحام لدقائق : نعم بكل ترحاب ٠٠

وفى منأى عن الصخب كان المفتش جاكمون يبدو مكتئبا فلقد مضت الامور حتى الان كما كان يتوقع ولم يلح جديد فى الموقف ، وهكذا كانت ظنونه ٠٠ وما أن أبصر بالفارس يمر على مقربة منه حتى نادى عليه بلهجة غير هادئة :

ـ آتوس ٠٠ آلا اذا كنت تفضل أن أناديك بآراميس ٠٠

وابتعد القديس عمن كان يمرح معها ليقترب ممن ينادى عليه ٠

ـ هل تنادى على يا بيكاسو؟

وانحنى صوب المفتش الذى تمتم :

ـ هل تعرفت على احد ؟

وقال سيمون مصارحا الرجل :

ـ لا .. ولعلك لا تدرك ان الحفل لم يكد يبدأ ؟ .. خاصة وان عدد الحاضرين يفوق ما كنت اتوقع ولهذا فانه يتعين على ملاحظة كل مدعو على حدة ٠٠ ولسوف اقوم بالتسمع لما يقولون متابعة نبرات صوتهم ومراقبتهم ٠٠ ولا اخا لك تعتقد بان ذلك يسير ٠٠

ـ عليك ان تذكر رأيى يا تمبلار ٠

ـ لا داعى لان تكرر ذلك ٠٠ فلقد قررت المضى فى البحث ٠٠ ولتعلم اننى ان كنت اقوم بذلك فانما افعل ذلك انقيادا لرغبتى اكثر مما هو لارضائك ٠٠

وانصرف يلعنه المفتش .. ودهش لكثرة عددالسيدات الجميلات ٠٠ وتصور الحافز الذى قد يدفع اللصوص للحضور الى الحفل ، خاصة وان اللالىء كانت تتدلى بكثرة حول الاعناق والاذان والشعر ٠٠ ورغم هذا فلم يتمكن من التعرف على احد ممن يعرفهم بين الحاضرين الذين كانوا لا يخرجون عن كونهم بعض الاثرياء الذين حضروا للاستمتاع باحدى السهرات ٠٠ وكان الجميع يرقصون ويتناولون الشراب والضحكات تدوى فى المكان ٠٠ وابصر سيمون بترينا تراقص احد المدعوين بينما كان زوجها يؤدى نفس الرقصة مع سيدة تفوقه قامة ٠٠

ـ آو ٠٠ ارجو المعذرة ٠

ونظرا لانه كان مديرا رأسه فقد اصطدم بسيدة كانت تمضى فى الاتجاه المضاد ٠٠ وتطلع الى من اصطدم بها ورأى امامه امرأة رائعة عارية الصدر تخفى وجهها بقناع اسود لا يحول دون ابراز مفاتنها ٠٠ وارتعد سيمون كما يحدث له عندما يواجه المجهول وبصوت خافت قال ، يا الهى ٠٠

وامسك بالسيدة من ذراعيها لئلا تهوى ٠٠ وراح يتفحصها من قمة الرأس حتى القدمين .. واعتراه شعور غامض .. هو بمثابة النذير ولذا مضى يتمتم : السيدة ..

وابتسمت البامبدور لتكشف عن اسنان رائعة ولم يدعها سيمون تفلت من يديه وجذبها حتى قلب القاعة

ليراقصها على انغام التانجو ·· وقالت المرأة :

ــ ما كان لغير احــد الفرســان ان يتسم بهذه الجسارة ·· فبعدما اصطدمت بى وطرحتنى ارضا او كدت تتذرع بالاعتذار لاجتذابى الى الرقص معك ·· وعلى انغام التانجو اتراه يكون ريشعوليو هو الذى علمك هذا ؟

وأحس سيمون باضطراب يكاد يشمله نشوة وهو يستمع الى ذلك الصوت ·· وتلك الطريقة الساخرة التى تتحدث بها ، وأدرك بأن الغموض يتبدد تاركا أمامه الطريق مضيئا للمضى فى مغامرته ملقيا بنفسه بين أحضان المغامرة ، هادفا لان ينتصر على أعدائه أو يفقد حياته ثمنا لاخفاقه · اذا ما حدث ذلك ·· خاصة اذا ما كان يواجه جريتا ·· وباتت الامور واضحة أمامه ، وهكذا أصبح هينا عليه أن يمسك بمن يدير العصابة بعد أن التقى بجريتا ·· تلك التى قدر له أن يقابلها على مدار الاعوام فى مناطق شتى من العالم ·· والتى كان ينتصر عليها فى كل معاركه ويتركها تنعم بالحياة ·· والان ها هى فى انتظاره فى كان ·· ولعل هذا ما كان يجعل الامور غامضة امامه . . خاصة وانه ما كان ليهتم بجريتا أو باللوحات المسروقة قدر اهتمامه بمتابعة تلك الطريقة الرومانسية التى تتبعها ·· وهكذا كان عليه أن يصطدم ثانية بجريتا مورجان ·· وراحا يخطوان ببطء على نغمات الموسيقى وقد تلاصقا ·· فى الوقت الذى راح فيه سيمون يستنشق ذلك العطر الطيب الذى كان يفوح من المرأة · بينما رفعت هى رأسها وهى تحدق فيه ·

ــ ما الذى يجعلك صامتا أيها الفارس الجميل ·

ــ الا تعلمين بأن الصمت قد يقوم مقام آلاف الكلمات ·

وقاما بخطوات أخرى وانحنى عليها أكثر :
ـ والان ··
وردت عليه جريتا بصوت حالم يحمل الوعود العديدة : ـ والان ؟
ـ ان صوتك ·· وقوامك ·· وحتى عطرك ـ كل هذه الاشياء تعكس انسانة أخرى ·
وجذبها بهدوء تجاه احدى النوافذ التى تطل على الليل الدامس والحدائق ··
ولم تقاومه جريتا وراحت تتأكد من آن العزيز ديمترى لن يسرع للحيلولة بينها وبين القديس ··
وقالت له هامسة :
ـ أترانى اشبه واحدة تعرفها ·· ومن هى
ـ اجمل من لاقيت من النساء خلال حياتى الحافلة بالمغامرات
ـ وهل تراك تعلقت بها !؟
ـ كثيرا · لدرجة استعدادى للقيام بالتضحيات كبيرة من أجلها ·
ـ وهل مازلت متعلقا بها ؟
ـ ان الامر يتوقف عليها
وأدرك انها تكاد تهوى بين ذراعيه وأمسك بها واحتواها على صدره ولامست شفاه فمها الذى اقترب منه ، وتمتمت جريتا
ـ ربما عثرنا على مكان آخر اكثر هدوءا ·
واقترح سيمون : الحديقة ؟
وقالت له بطريقة تخلو من الحياد : وهناك نكون سويا دون ان يراقبنا احد
ـ واذا ما وعدتك بأن البى ماتنشدين ·

ومان احتواها الظلام حتى امسكت المرأة بذراع صديقها وهى تتمتم :

ـ وماذا يدعونك

ـ سيمون

ـ وهى ؟ نعم تلك التى تحبها الا اذا كنت تمقتها

ـ انني فى الحقيقة احبها واكرهها

ـ وجذبها ناحيته

ـ والان ٠٠ ماسمك ؟

ورفع يده ناحية القناع ولكنها تخلصت منه

ـ ابتعد عنى أيها الفارس الجميل ٠٠ فاننى متزوجة أمن الضرورى ان صارحتك بذلك ؟

اننى ادعى الاميرة لينفيف ٠٠ ولتعلم بأن زوجى الامير يغار على بجنون

ـ اننى ادرك ما يدعوه الى ان يكون غيورا ٠٠ وعلينا اقتسام هذا الكنز ٠٠ أليس كذلك ؟

وامسك بها بحركة خاطفة وضمها اليه بقوة ٠٠ ولم تحاول جريتا ان تقاوم طالما كانت تشعر بالسعادة لذلك وتطلب المزيد .. ويالها من مجنونة حقيقة تلقى بنفسها بين براثن عدوها اللدود ٠٠ وراحا يتوغلان الى أعماق الحديقة التى كانت تفوح منهارائحة نبات السنط النفاذة .. وهذا ما جعلهما لا يمكثان طويلا ، وهكذا كانت جريتا متلهفة لاجتذاب سيمون حيث تريد ، وفجأة قالت له هامسة :

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ ليس هنا ٠٠ ولتخبرنى هل اشبه تلك التى تحبها وتمقتها ؟

ـ انه نفس الصوت والقوام ونفس طريقة الرقص ٠٠

ـ اتعرف ان هذا المديح لا يلقى هوى فى نفسى ؟

وفجأة افلتت من يديه وأسرعت الى حيث كانت الطرق

الضيقة تؤدى الى الميناء الخاص · وخشى سيمون ان تفلت منه فراح يقتفى أثرها ·· وقد أدرك الطريقة التى لجأت اليها والتى تهدف بها الى اجتذابه .. ويا لحسن الحظ فأخيرا سيتاح له أن يعمل بنشاط ·· خاصة وانه يحبذ الامور الغامضة والصراع الذى قد يؤدى الى نهاية لائقة به ·

واستطاع اخيرا ان يلحق بها :

ـ هل تتركين لى الفرصة لاوضح لك مدى اهتمامى بك ·· ومن يدرى ؟ فعلك تفلحين فى محو الصورة الاخرى من ذهنى ؟

ـ وما الذى يتعين على عمله ؟

وعاد يمسك بها بقوة ويحتويها وينحنى ناحيتها وهى تقاومه ··

ـ هل جننت ؟ اتنوى اختطاف القبلة وكأنك تسطو على مدينة ؟ انها طرق ما كانت الاخرى لتحبذها ؟ وهذا ما يوضح سبب كراهيتها لك ؟

ـ اذن لا تحاولى الدفاع عن نفسك بعد ذلك ؟

وأبصر فى تلك اللحظة بالزورق واقفا أمام المرسى الصغير ·· وفيه رجل تبدو قامته مألوفة له ·· ولم يدم الامر طويلا فلقد قالت له الاميرة بنبرة تحمل الوعود البراقة :

ـ لا ·· يا سيمون · ليس هنا ·· فاننى اخشى ان يفاجئنا احد ·· وكيف لنا أن نبرر موقفنا ؟ خاصة واننى اخاف زوجى ·· واذا ما أردت ؟

ـ ولم أرفض ؟

ـ انك لم تسألنى عما كنت انوى ان أقول ؟

ـ لا جدال انها فكرة رائعة طالما كانت صادرة منك ··

ـ اننى أقصد نزهة فى عرض البحر ··

وضحك ٠٠

ــ حسنا ٠٠ هيا بنا نسطو على أحد القوارب الموجودة هنا !

ــ لا داعى فان زورقى هنا ٠٠ أنه القابع هناك ٠٠

وقال سيمون فرحا : ــ حقا انه اقتراح رائع ٠٠ والبحار الذى يعمل لديك ؟

ــ لا أهمية له . . اننى ادفع له بسخاء ولذا لن يتفوه بشىء ٠٠ ولتعلم بأنه لن يدير رأسه الينا ٠٠

وارتمت فوق صدره وهى تلقى بما لديها من أسلحة محاولة اغراءه ، وكان ذلك بطريقة مبالغة جعلت سيمون يتخذ حذره ٠ وأدرك سيمون ما الذى يواجهه من مخاطر لا بديل عنها ، فلو أنه لجأ الى اتهام الاميرة عند جاكمون لما لقى أذانا صاغية ٠٠ ولذا فان عليه أن يسعى للامساك بالدليل على ادانتها أو اعادة اللوحات أو معرفة مكانها على الاقل ٠٠ ولم يكن أمامه سوى أن يتبع جريتا والمضى خلفها ريثما أرادت الذهاب ٠

وقال لها بهدوء : ــ هيا ٠٠٠ تعالى ٠٠

وتقدمها متجها الى الزورق باسطا يده لتتخذ مكانها فى المؤخرة ،

ثم قال متحسرا : ــ ليتنا كنا فى فينيسيا ٠٠ حيث الروعة والطبيعة الحالمة ٠٠ ومن ذا الذى يذهب بنا الى مدينة جورج ضاند والفريد دى موسيته ، مدينة العشاق والاقنعة ٠٠ ولماذا لا ترفعين هذا القناع ٠٠

ــ لنترك ذلك دقائق أخرى ٠٠

وقالت مخاطبة أوتا : هيا ٠٠ أسرع ٠

كان البحار واقفا لا ينطق بكلمة ٠٠ وان كان يشعر بالسعادة بعد ان وقع العدو اسير شباكهم . . وهذا ما جعله يزداد ثقه فى جريتا الماهرة ٠٠

وما لبث الزورق أن انطلق خارجا من الميناء الخاص متوغلا فى عرض البحر . وتنهد سيمون : يا ليلة الجميلة ·· ! لو لم يكن هناك هذا المحرك ؟ ·· أنه أمر شىء ··

ـ لعلك لا تجد الامور القادمة أسوأ حالا من المحرك يا سيمون تمبلار ··

وبحركة خاطفة قامت بنزع القناع لتقف فى مواجهته ·· وهى تقول له :

ـ ما رأى القديس فى هذه المفاجأة ؟

وصاح بصوت ملىء بالحيوية والشباب :

ـ جريتا ؟ عزيزتى جريتا ·· جريتا مورجان الحلوة ··

واستدار بعد أن اكتشف أن البحار كان قد أشهر مسدسه ناحيته ··

ـ وأيضا صديقى القديم اركانساس ؟ ·· أليس كذلك ؟ ·· أو على ما أذكر ميسورى ؟ ·· لا ·· لا ·· أوتا . أرجو المعذرة أيها الاميرال .. فان الذاكرة تخوننى فى أحيان قليلة ··

ويبدو انه كان مغرما بالمرأة ··

ـ عزيزتى جريتا ·· ليتك تدركين مدى سعادتى الليلة ؟ ·· ان أقابلك أنت ·· هنا فى كان ·· وبين ذراعى ؟

وقال له بلهجة جادة : تلك نهايتك يا سيمون ··

وهناك فى الحفل كان جاكمون يبحث عن سيمون بلا جدوى ·· ولما نفد صبره من الاهتداء اليه اتجه مباشرة الى السيدة فينار ليسألها :

ـ هل أبصرت بالسيد تمبلار ؟

وهزت المرأة أكتافها ، ومضى يسألها بالحاح ·

ـ لقد رأيته عندما كان يدعو سيدة جميلة لتراقصه ٠٠ ويبدو انهما كانا يعرفان أحدهما الاخر قبلا ، ولقد عبرا المكان متجهين الى الحديقة ٠٠ وذهبت الى هناك فلم أعثر لهما على أثر ٠٠ وهكذا فاننى لاأجدهما فى كل هذه الارجاء ٠

ولم يكن باستطاعة ترينا أن توضح له الامر ٠٠ واتجه المفتش الى آندريه جان يستوضحه عما اذا كان قد أبصر بسيمون ٠٠

ـ نعم ٠٠ كان يراقص سيدة رائعة الجمال ترتدى ثوبا على طريقة بامبادور ٠٠

وكان فينار قد اقترب لدى تفوه الشاب بالكلمات الاخيرة فقال :

ـ انها ليست سوى الاميرة لينيفيف ٠ اننى أتفق معك فى الرأى يا سيد جان : ولو أنها كانت ممن تتطوق اليهم الشبهات فاننى أحسد سيمون لانه سيتولى محاربتها ٠

وضحك الرجل عاليا وابتعد يصطحب زوجته وهو يتمتم : لقد كانت سهرة ناجحة يا عزيزتى ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠٠ وأما جاكمون فقد تهاوت ذراعاه الى جانبه وأحس بالضياع بعد ان سخر القديس منه .

كان الزورق يشق الماء بسرعة معتدلة وأوتا يعمد الى محاذاة الشاطىء متجها للميناء فى الوقت الذى كان سيمون يتابع بعينيه الامريكى وتلك التى تمثل فى اعتقاده الرأس المدبرة لكل ما يجرى ٠٠

وقال لها : اذن ٠٠ فلقد كنت أنت يا جريتا ٠٠

ولم ينطل الامر عليها وانحنت برأسها محيية وما لبثت أن قالت :

ـ شكرا ٠٠ وكفى مديحا يا سيمون ٠

ـ لقد أبصرت بك تعملين فى الماضى ٠٠ ولقد تساءلت

عندما علمت بأمر السرقات وحين عرفت أدركت طريقة الاعداد لها واختيار اللوحات الفريدة بات مؤكدا عندى أن من يقوم بذلك على دراية وخبرة عريقة بهذه الامور ولا أظنه دخيلا ٠

وقالت له : ــ وهكذا اعتقدت باننى وراء هذه الاحداث ٠٠ ؟

ــ ان لم تكونى انت فغيرك ممن يكون على ذكاء كاف للاستفادة من العملية وذلك بعد اخفاء اللوحات بطريقة بعيدة عن أية ظنون ٠٠ ويلى ذلك القيام باعادتها الى أصحابها بعد الحصول على الفدية المطلوبة ، وذلك مع التعرض لاقل المخاطر بقدر الامكان ٠٠ لقد كان عملا موفقا يا جريتا واننى لاهنئك عليه ٠

وقالت له بلهجة مرحة : ــ اننى أحبك يا عزيزى ٠٠

وكان الهدف الاسمى لدى كلا الخصمين أن يعمل كل منهما على التخلص من الاخر ٠٠ وأما جريتا فكانت تجد نفسها المنتصرة .. خاصة وان الفرصة ما عادت سانحة أمام القديس لينجو بنفسه ٠٠ ولو انه ألقى بنفسه الى الماء لنال منه أوتابسلاحه أولجأالى اللحاق به بواسطة الزورق ٠٠ ولم يكن أوتا راضيا عن سياق المناقشة الغريبة التى تدور على مقربة منه وصاح :

ــ كفى ثرثرة أيها اللعين ٠٠ولا داعى لان تتحرك ولتعلم باننى سأطلق عليك النار اذا ما حاولت خداعى ٠٠

وألقت جريتا للقديس بابتسامة فريدة تدل على الحنان والكراهية ٠٠ وراحت تسترجع تلك الساعات الدافئة التى قضياها معا ٠٠ وما كان يراودها من آمال كبار كانت تعقدها على سيمون الذى كان لا يلبث أن ينقلب عليها فى نهاية المطاف ٠٠ وهو يهدف أن يقبض بها لتنال منها العدالة ، ولكنه فى كل مرة كان يتركها طليقة ٠٠

وكان سيمون بدوره يتأملها ويتابع تأثيره على هذا الوجه الجذاب الذى طالما أحاطه بذراعيه ٠
ـ لقد كان بمقدرتى القضاء عليك يا جريتا ٠
ـ واننى أذكر بأنك لم تفعل ٠٠ وها أنا الليلة أمسك بزمام الامور وهكذا باتت نهايتك قريبة ٠٠
ـ حذار ايتها الصغيرة ٠٠ فان من تفوهوا بذلك ما لبثوا أن أحسوا بالندم فى الغد ولعلك تدركين بأن أصدقائى فى السماء يتدخلون لمساعدتى فى اللحظة الاخيرة ٠٠
وارتعدت وقالت : ـ عليك بتقييده يا أوتا .. وقام بذلك بعناية فاجعل يديه خلف ظهره ، وقيد أيضا ركبتيه وقدميه ٠٠
ـ لتعتمدى على يا سيدتى ٠٠
وقالت له بلهجة قاطعة : اعطنى المسدس ٠٠
وتناولت السلاح وظلت شاهرة اياه وأوتا يقوم بما كلف به ٠٠ وكان سيمون يحاول عبثا اعاقة الرجل ، غير ان البحار كان لا يهمل صغيرة او كبيرة ، وما كان القديس ليفكر فى هرب قريب ٠٠ خاصة وان الرغبة فى المضى حتى نهاية المغامرة وتحديد نوايا جريتا كانت أقوى من محاولة الفرار من الميدان ٠٠ ولذا عقد العزم على مواصلة المهمة بهدف القضاء على جريتا فى اللحظة الاخيرة ٠٠ ورغم ذلك الموقف الذى لم يغب عن القديس فقد كان يأمل خيرا ٠٠
وانتهى أوتا من آداء المهمة وبدا سعيدا وقال مقترحا :
ـ هل نلقى به فى البحر ٠٠ ؟
ـ لا .. ولتأخذه الى اليخت وتصعد به دون ان يراك أحد ثم أودعه أحد المخازن ٠٠ والزم المكان متذرعا بأى أمر ٠٠ وليس ثمة خوف من تسلله من احدى الكوات

وانها من الصغر بحيث لن يتمكن من اجتيازها ٠
وأحنى البحار رأسه وبدت آسنانه عندما أطلق ضحكة مجنونة :
ـ لتركنى الى ٠٠ ولتعلمى بأنى سأدفع بقطعة من الفولاذ فى بطنه اذا ما حاول مضايقتى ٠
وبحركة جادة قام بابراز مطواته ٠٠ وقد خلت جريتا :
ـ حذار ٠٠ ولا داعى لذلك الا عندما تقضى الضرورة ٠٠ ولتعلم يا أوتا باننى أريد أن أعرف الكثير منه ٠٠ وعلينا أن نعلم ما تعرفه الشرطة ٠٠ والان ٠٠ عد بى الى بيت فينار ٠٠
وتمتم شريكها : ـ ولم تعودين ؟ ٠٠ انهم سـوف يلاحقونك بالاسئلة ٠٠ وقد يؤدى ذلك الى ٠٠
وقاطعته : ـ على النقيض ٠٠ فالامر يحتم أن يرانى الجميع حتى لا تتطرق الى الظنون ٠
وأوقف أوتا المحرك عند اقتراب الزورق من الميناء الخاص وجعله ينساق وفق اتجاه التيار ٠٠ ولم يكن هناك من يتجول فى المكان وبالتالى فليس ثمة مخاطر .. وقفزت جريتا برشاقة الى الحديقة وما لبث الزورق أن توارى ٠٠ وكان جاكمون يتنقل بين الغرف وقد بدا وجهه شاحبا ٠٠ فى حين كان جان قد فرغ من تناول عدة كئوس ومضى يبدى اعجابه بتلك المرأة التى قابلها .. ولم يكن آل فينار يعبأون بالمفتش الذى شعر بأن الجميع قد غدروا به ونبذوه ٠٠ وفجأة ارتعدت أوصاله وهو يرى مركيزة رائعة قادمة من ناحية الحدائق فقد كانت هى التى حدثوه عنها ٠٠ وأسرع مندفعا ناحيتها لا يحفل بالراقصين وهو يصطدم بهم فى طريقه ٠
ونادى عليها قائلا : ـ سيدتى ٠٠ هل كنت تراقصين فارسا منذ حوالى الساعة ؟

ـ نعم ٠٠ ولقد انصرف ٠

وأحس المفتش بأنه يكاد يهوى ٠

ـ انصرف ؟ الى أين ؟ وكيف ؟ ومع من ؟

وهزت اكتافها الجميلة ٠٠ وكانت قد نزعت قناعها ٠٠ بعدما تخلصت من عدوها ٠

ـ لست أدرى ٠٠ لقد راح الرجل يطارحنى الهوى قليلا وما لبث أن رحل ٠٠ وكأننى غير موجودة ٠٠

ـ ولم يقع له أى حادث ؟

ـ كان الشرطى يسعى لدفعها الى الحديث ، وعمدت المرأة الى جعله يشعر باليأس عندما قالت له شارحة :

ـ وهل تسمى ذلك حادثا ؟ لقد حدث أثناء مناقشتنا ان لاحظت بأن الفارس كان يومق بنظراته شيئا ٠ أو ربما أحدا ٠٠ ولقد سمعته يقول ٠٠ يا الهى ٠٠ اننى أرى هناك ٠

وهذا كل ما هناك ٠٠

وأخرج جاكمون من جيبه بطاقته التى قدمها للمرأة :

ـ اننى المفتش جاكمون ٠ ولتذكرى باننى ألح فى سؤالى ٠٠ أتراك ابصرت بما كان يراقبه الفارس ؟ واذا ما كان الهدف رجلا فهل يمكنك التعرف عليه ؟

ـ ارجوك المعذرة يا سيدى فاننى عاجزة عن ذلك ٠٠ فلقد تركنى الراقص بخفة ٠٠ وتسلل عبر الحاضرين واعتقد انه كان يقصد رجلا متوسط القامة ٠٠ كان يرتدى ملابس مهرج أو ٠٠ ٠٠ لا ٠٠ اننى لا أستطيع القطع خاصة واننى لم أفكر فى مراقبته ٠٠

وتقدمت للامام حتى تتخلص منه ولكنه عاد يسألها :

ـ وهل يمكنك التعرف على هذا الرجل ؟

ـ الفارس ؟ ٠٠ ذو الشارب والذقن المزيفة ٠٠ اننى لاتساءل عجبا ٠٠

ـ بل اعنى ذلك الذى تبعه ٠٠

ـ لا ٠٠ واظنني أوضحت لك يا سيدى أن الامر لم يتعد ملاحظة ٠٠ وارجو المعذرة لان هناك من ينتظرنى ٠٠

وابتعدت وقد تفادت أن توضح بانها تعرفت عليه ، ولم يجرؤ الشرطى على استبقائها ٠٠ وان راح يتابعها وهى تعبر الصالونات تطاردها كلمات الاطراء من كل الجوانب ٠٠ وكأنها تشق خلفها طريقا من الجمال والفتنة ٠٠

ولحقت بالامير لتفاجئه يتحدث الى شقراء ٠٠ وكان الامير يلوح سعيد الامر الذى جعل جريتا تقطب حاجبيها وأطلقت صفيرا :

ـ ما هذا يا ديمترى ٠٠ انك تلوح مشغولا ٠٠

وتمتم : ولكن يا عزيزتى ٠٠

وقالت له بلهجة حادة : ـ هيا ٠٠ فانني ابحث عنك منذ ساعات وأنت هنا تطارح النساء الغرام ٠٠ انني أشعر بالخجل مما تفعل ٠٠

ـ ارجو المعذرة ٠٠ لقد شقيت بحثا عنك فى كل مكان ٠٠

ـ فيما عدا الشرفة حيث كنت أعانى من دوار ٠٠ والان هيا بنا ٠٠

وتمتم وقد نسى الشقراء مارجريت : ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ يا عزيزتى جريتا ٠٠

وغادرا المكان بعدما قاما بتوجيه التحية الى فينار ٠٠ وابصرت بهما ترينا على البعد وهما يمران بالصالون ، ومضت تتأمل تلك المرأة الرائعة الجمال ، ولا شك انها كانت كفيلة بارضاء سيمون ٠٠ وتنهدت المرأة الظريفة وهى تتساءل عن مكان سيمون ؟ وكان نفس الامر يراود

جاكمون ‥ وهذا ما دفعه لان يصدر الاوامر الى رجاله بالسعى وراءه والامساك به ثانية ‥ ولم تجد جريتا مشقة لتعليل اهتمام الشرطة بسيمون ، فهذا يدل على انهما يعملان معا وأن ما أثير عن القبض عليه لم يكن الا ستارا ، ولكنها الليلة أكدت انتصارها على الجميع ٠

وما أن وطئت باقدامها اليخت حتى استدارت تجاه الامير الذى كان قد تبعها دون أن ينبس بكلمة ‥ خاصة وانها كانت ملتزمة الصمت طوال الطريق ‥ وأحس الامير بأن جهوده تضيع سدى من أجل أن يفوز بالوفاق معها ‥ اذ انها قالت له : ـ لتذهب الى الفراش يا ديمترى ‥ ولا شك انك بحاجة للراحة ‥

وحاول الاعتراض ولكنها تجاهلته واضافت :

ـ لقد تصرفت الليلة بطريقة غير لائقة ‥ طابت ليلتك ‥

وقال لها : ـ وأنت يا جريتا ؟

وازاء نظرات الرجل الباهتة تطلعت اليه بغضب ‥ وراحت تتفحص الملابس التى كان يرتديها ‥ نعم ‥ انه جدير بهذه الثياب الرثة ‥ ويستحق الجلد عن جدارة ‥

ـ انني مضطرة للذهاب الى أوتا لاملاء بعض الاوامر عليه ‥

وكاد الرجل أن يعترض ‥ ولكنه عاد واكتفى بقوله :

ـ حسنا ‥ كما تريدين يا جريتا ‥

واتجه الكهل الى أسفل ساعيا الى قمرته ‥ وظلت جريتا تراقبه لبرهة قصيرة قبل ان تستدير صوب اوتا الذى كان يشهد المحاورة دون أن يتدخل بكلمة ٠

وسألته : ـ ايبدو ضيفنا هادئا ؟

ـ انه لا يملك سوى ذلك معى ‥ ولقد أودعته احد

المخازن بعد عودتى الى اليخت كما طلبت منى ٠٠ ولقد تركت أحد البحارة فى حراسة المكان ٠٠

ـ وهل فككت قيوده ؟

ـ لا ٠٠ والافضل أن نغادر الميناء بأسرع ما يتسنى لنا والانطلاق الى عرض البحر ٠٠ حيث نلقى به هناك ٠٠ خاصة وان الاحتفاظ به هذا قد يسبب لنا متاعب ٠٠

وكانت جريتا مستندة بظهرها الى الحافة وهى غير متأملة ذلك المشهد الرائع للمدينة الهادئة التى تقبع خلفها ٠٠ ولم تعلق جريتا ٠٠ وراحت تدخن سيجارة وان كانت حركاتها تنم عن الانفعال ٠٠ خاصة وان ملامحها كانت ترتسم عليها دلائل الوحشية وتبدو نظراتها ثاقبة ٠٠ وأخيرا قالت :

ـ ان لدى بعض الاسئلة أريد توجيهها له ٠٠ وعليك بعد ما أفرغ من ذلك أن تتصرف بشأنه وفق ما يحلو لك يا أوتا ٠٠

وأحس البحار بالارتياح لهذه الفكرة ٠٠ وتخيل نفسه وهو يقوم بربط سيمون بكتلة الرصاص ثم الالقاء به الى الاعماق لئلا يعود لمضايقته ثانية ٠

وهو بذلك لا يعمل على خلاصه من عدو يحاول اللحاق به بل كذلك ابعاده عن جريتا التى كانت تمقته وتعجب به فى ذات الوقت ٠٠ وهكذا يتسنى له البقاء دون منافس أمام جريتا ٠٠ نعم ٠٠ انه لامر ممتع أن يلقى به الى البحر مقيد الاطراف وبهذا تكون خاتمة ذلك القديس الذى أطبقت شهرته الافاق ٠

وقال لها مقترحا : ـ ما رأيك لو أننا أبحرنا الان ؟

وهزت رأسها : ليس بعد .. ولينتظر الفجر .. فلو أننا غادرنا الميناء الان لاسترعى ذلك الانتباه ٠ خاصة بعد ماقام المفتش جاكمون باستجوابى بعد أن أبصر بى

برفقة القديس ٠٠ وكان جاكمون يسعى لمعرفة اذا ما كنت أعرف المكان الذى رحل اليه سيمون ؟ ٠٠ ولا شك أن الشرطة تبحث عنه الان ٠٠ ولو أن اليخت تحرك الان لكان ذلك مدعاة لان يبعثوا فى أثرنا باحد زوارقهم ٠٠

وقال البحار متحررا :

ـ ربما ٠

ـ لننتظر حتى قرب طلوع النهار ٠٠ ولسوف أقوم قبل انجاز العملية بالتحدث اليه ٠٠

وزمجر اوتا : وعندئذ يقوم الرجل بتقديم البرهان على مهارته فى السباحة تحت الماء ٠٠

الفصل الرابع عشر

غادر أخر المدعوين مكان الحفل وبدت فيلا كوليت بعدها وكأنها تعرضت لاعصار مدمر ٠٠ أو كأنها بيت دمرته احدى التفجيرات الذرية ٠٠ أو مجمع للقمامة ملىء بالنفايات وكان الرماد وبقايا السجائر أو السيجار او الاكواب المقلوبة وأطباق متناثرة والاغطية غير مرتبة وبقايا المأكولات وكان الاثرياء يسرعون لاتمام المهمة فى مكان آخر ٠ والقى هنرى فينار بنفسه متهالكا فوق أحد المقاعد : ـ وأخيرا ٠٠

واتخذت ترينا مكانا لها على جانب المقعد وقالت لزوجها وهى تحيط عنقه بذراعيها ٠

ـ كان الاجدر بك ان تقول « وآسفاه ..

ـ ولم ياعزيزتى ٠٠ آكنت تودين أن يدوم الحفل ؟

ـ اننى افكر فى سيمون وما وقع له ؟

وقال لها زوجها ضاحكا :

ـ عليك بألاتكونى قلقةعندما يتعلق الامر بالقديس ؟ فلقد كان يفكر فى أمر ما عندما اقترح اقامة هذا الحفل ٠٠

ـ ولكنه اختفى واننى لا تساءل ٠٠

ـ ماذا ؟

ـ لعله وقع ضحية خطته ٠٠

وغادرت مكانها لتقف على مقربة من النافذة وهناك علـى بعد بيـخت ابيض اللـون يمضى بطيئـا تجـاه الجنوب ٠٠ والقت ترينا بنظرة قلقة وارتعدت وهى تقول :

ـ انه جاكمون ٠٠٠

وأسرعت تستقبل الشرطى الذى كان يبدو متوترا وسألته المرأة :

ـ هل من أنباء ؟

ـ اننا نبحث عنه فى كل مكان ٠٠ ولكن لا أثر له ٠٠ وما كان يتعين على الموافقة على اقامة الحفل ٠٠ ولقد أبصر العديد من الافراد به ٠٠ وكان يحادث الحاضرين ويغازل الجميلات ، ولقد كان الجميع يتأملون باعجاب هذا الفارس وتهافته على هذه وتلك ٠٠ ثم تبدد كل شىء ٠٠ واختفى الرجل ٠٠

وسألته ترينا بطريقة تنم عما يعتريها من قلق :

ـ واذا ما كان قد وقع له مكروه ؟

وبغضب ظاهر ضرب جاكمون بقبضته على يـده الاخرى :

ـ انه احتمال مقبول .. وان كنت لا احب ان يكون صحيحا ٠٠

وبلا عجلة غادر اليخت أرصفة الميناء حتى يبدو الامر عاديا فى تلك الساعة المبكرة من الصباح ، بينما كانت جريتا فى الصالون تتناول القهوة والنشوة تلوح عليها ٠

وما لبث أوتا أن لحق بها وراحت تتأمله بطريقة تنم عن قلقها وكانت لا تهتم بوجوده الى جوارها .. والحقيقة انها كانت مشغولة البال بامر السجين ، وعلى حين غرة فتح الباب · وزلف الامير الى المكان وتوقف الرجل وبدا جسده الهزيل مرتعدا ··

ـ جريتا ··

والتفتت اليه بما ينم عن عدم الرضاء · ولكنه كان يلوح جادا مصمما على المضى هذا الصباح فيما نوى غير مبال باية عواقب ..

ـ أنك أمسكت برجل ، ولتعلمى أننى على اطلاع بالامر ·

وتلاقت أنظار جريتا وأوتا وقد تضايقا من الدخيل وما الذى كان يعنيه من هذا الامر

ومضى الامير يقول : ـ لقد استمعت منذ وقت قليل الى ضجة صادرة من أحد مخازن اليخت وذهبت لا تبين ما يجرى ولتحرى الامر وهناك وجدت أحد البحارة يقوم بحراسة أحد الابواب ·· وسألته عما يقوم به ؟

وقال الربان بغضب : ـ وهل أخبرك هذا الغبى ؟

ـ الست الامير ؟ ·· نعم ·· لقد أبلغنى بان هناك رجلا فى الداخل ·· وأنه يتعين عليه الحفاظ عليه لئلا يتمكن من الفرار ·· والان من هو الرجل ؟

وقالت له جريتا مورجان بتخاذل :

ـ هذا لا يتعلق بك ياعزيزى ديمترى · فهيا عد الى قمرتك لتنام او تواصل القراءة ولتتركنى وشأنى اكمل مهمتى مع الربان ·

وثار الرجل وقد استبد به الغضب وهو يقف أمام تلك المرأة التى اقترن بها وأن كان فى تلك اللحظة لم يعد يكترث بالعودة الى حياته الاولى من الشقاء ··

ـ اننى الح في معرفة هوية الاسير ؟ وسبب احتجازه على ظهور اليخت ؟ ·· وماالذى ارتكبه ؟ ·· **لقد بت** اعتقد انك انت يا جريتا من تقومين بارتكاب الجرائم ؟

وتمتمت المرأة : ـ يالك من مشاغب ياديمترى ··

ـ لا شك لاننى بدأت أدرك ماتقومين به بمساعدة شميدت ·· والحقيقة أننى كنت أتشكك منذ مدة فى قيامك بالعمل مع هذا الربان المزيف ·· وقد اغمضت عينى معتقدا بأن تلك العلاقة تتمثل فى بعض المخالفـات الجمركية .. واما الان فاننى لا اوافق على الاحتفاظ بأسير فوق اليخت ·

ـ وتدخل اوتا فى النقاش بقوله :

ـ بعض الهدوء أيها الامير ·

ـ فلتلزم الصمت يا أوتا ولتدرك بأنك احد العاملين تحت أمرتى ؟

ـ كلا أيها الامير فلقد غادر اليخت الميناء وأصبح الان تحت تصرفى فاننى أنا الربان الا اذا أردت الالقاء بنفسك الى البحر ··

ولم يستمع اليه العجوز والقى بما عنده دون اية مخاوف وهو يتجه ناحية الباب ·

ـ سنرى ياأوتا ما اذا كان الطاقمكله من الاشرار انك وحدك من سيلقى به الى الجحيم ··

ـ قف ··

وقفوه البحار بالكلمة بلهجةحادة وكاد العزيز ديمترى أن يخطو الى الامام واذا بمن يمسك به من ملابسه ويجذبه الى الخلف ··

وقال اوتا بغضب : ـ ابق هنا .. ولسوف اقوم بتقييدك لئلا تعمل على مضايقتى .

ـ ابتعد منى ايها الوغد ·· اننى امنعك من ان تلمسنى

أنك انت الذى ستقوم الشرطة بالامساك بك .
ولما لم يستمع اليه أوتا فقد قام العجوز بتسديد لكمة خاطئة تدل على عجزه وما به من عدم المقدرة ·· وضحك أوتا وأضاف :
ـ ماهذا ؟ هل يسعى الاب ديمترى للمزاح ؟ والان لسوف أعمل على اصلاحك ·
وبضربة عنيفة من يده هوى اوتا على اسفل عنقه المسكين الذى وثب واقفا يترنح لثوان ثم سقط على الارض ·· وقفزت جريتا من مكانها وأوقفت هذا الصراع الغير المتكافىء
ـ كفى يا أوتا .. أفقدت رأسك .. ان العجوز المسكين ··
وكان الوقت متأخرا لا يقاف ما أعترى أوتا من ثورة عارمة ولذا فقد قام بتوجيه ضربة جديدة بقدمه الى جنب الامير ··
ـ من يظن نفسه هذا الكهل الاحمق ؟ انه لم يفتأ يهاجمنى منذ امد بعيد محتقرا اياى ·· وليعلم بأنى الربان هنا ..
وقالت جريتا تعاتبه : ـ لقد ضربته بعنف يا أوتا .. ولم يكن باستطاعته الدفاع عن نفسه ·· خاصة وانه متقدم فى السن ·
ولم يتكلم أوتا وأخفض رأسه وقام بمساعدة الامير على الوقوف وقد لاح الاحتقار جليا على وجهه ·· وقال لها ··
ـ حسنا ان علينا ان نتخلص منه لئلا يضايقنا
وقفزت جريتا من مكانها :
ـ ماذا تقول ؟ ـ أتعنى ؟
ـ ان نجهز عليه حتى نضمن ان نعمل دون ان يسعى

الى خلق المتاعب لنا · وراحت تتطلع الى الامير الراقد وتتذكر كيف انتشلته مما كان يكايد من حياة بائسة ومن ثم الارتباط باسمه لحماية نفسها من الظنون ومحاولات الرجل البائسة للمحافظة على حياته خاصة وانها كانت تحط من قدره أمام أوتا ..

وتمتمت : ــ وما الداعى لقيامك بضربة بهذه الوحشية ؟

وهز أوتا أكتافه ·· وقد أحس بأن جريتا بمثابة ذبابة تحاول أبعاده عما يقوم به ·

ــ لا داعى لدموع التماسيح هذه يا جريتا .. انت نفسك قد بالغت فى السخرية من الرجل ·· أنه لم يعد على قيد الحياة وان هى الا عشرة دقائق حتى نكون قد نسيناه ·

ــ حسنا .. ولتمض الامور بطريقة لا تثير على أرتياب الطاقم ·

وقال لها مبتسما : حسنا ·· اننى لن أشرك أحدا فى العملية ··

واتجه ناحية الباب ··

ــ اننى ذاهب لتوجيه اليخت جانبا .. ثم اتولى القيام بالعملية وحدى ·· فاجلسى وفكرى فى الاسئلة التى سوف توجهنها للقديس اذ اننى ارغب أن افرغ من امره باسرع مما أنا فاعل الان ·

وكان سيمون قد افلح فى الوقوف مستندا الى ما كان بالغرفة من صناديق .. وقضى الهزيع الاخير من الليل يسترد قواه وهو يدرى بأن جريتا لن ترفق به · ورغم انه قد التقى بها مرات عديدة وحقق عليها انتصارات بعيدة

الا انه كان يطلق سراحها فى كل مرة رأفة بها ، وأما اليوم فها هى تمسك به بين أيديها . ولا شك أنها ستقوم بالانتقام لنفسها عما بدر منه طوال المرات السابقة .. ولم يشعر سيمون بان نهايته قد باتت قريبة فقد كان متعلقا بالحياة ولهذا فانه لن يخسرها باى حال ·· وما اظنه يلاقى تلك النهاية الغير مجيدة التى يريدها له أوتا بالالقاء به مقيدا الى الاعماق ، خاصة وأنها ميتة لا توافقه لما يتمتع به من شهرة مدوية ·· وكيف له أن يستمع الى نداء حارس الجنة بعدما تكون آذانه ممتلئة بمياه البحر ؟لا ·· أنه لن يلقى تلك النهاية التى يعدونها له فما زالت أمامه العديد من المغامرات الجديدة للقيام بها وأعداء آخرون لمحاربتهم ·· وهكذا كان متملك الارادة ماضيا فى المقاومة ·· وأدرك أن الاحتمال القائم امامه هو محاولة اجتذاب جريتا ، ولو انه رضخ لها لعملت على تابيه اذ انها متعلقة به رغم ما تتظاهر به من كراهية ··· وأما أوتا ؟ فأنه لن يصعب عليها التخلص منه ؟ ·· ولعلها لن تركن اليه ببساطة ولكنه ولا شك سيجد السبيل للفرار ..

كانت الافكار تتضارب فى ذهنه ·· واحس بالرغبة فى الراحة ، ليتمكن من مواصلة مهمته ·· وقرر أن ينام قليلا ·· ولكنه مالبث أن استيقظ على زئير المحركات ·· ومضى بعض الوقت وسمع من يتحدثون فى الخارج ويتناولون اسمه ضمن كلماتهم ·· وبعد قليل احس بأن هناك شيئا يسحب على الارض وأدرك أن الصوت صادر من ناحية الكوة .. وتمالك سيمون نفسه واتجه صوب الفتحة التى كانت تعكس أمواج البحر اللامعة ·· وفجأة ابصر بشبح يتراقص فى الخارج ·· وبدأت الصورة تتضح أمامه ·· وأبصر برأس تلتصق بالكوة ، وكانت

العينان مغمضتان ·· وملامحه غائرة وكانت الرأس متدلية الى أسفل ·· ولم يتحرك سيمون من مكانه بعد ما تعرف على ملامح الامير ديمترى وتوارت الرأس ليبصر بصدر الرجل وبجذعه وساقيه ·· ولاحظ تلك الكتلات الحديدية المقيدة الى قدميه ·· وقال سيمون لنفسه « ما هذا ؟ لقد لحق أميرنا بعائلته فى العالم الاخر .. وانصت القديس الى الارتطام الحزين بالماء وما لبث ان خيم الصمت الذى يكدره صوت المحركات .. وتمتم سيمون

– أترانى أتعرض لمثل هذا ؟ ·· حقا ان هواة اللوحات الفنية يلجأون الى أساليب غريبة ·

وفتح الباب وانسحب الحارس جانبا تاركا اوتا يتقدم وبيده مسدس متوسط الحجم واستند الى الباب وقال للبحار : – أنزع قيد قدميه ··

وما لبث سيمون ان راح يحرك ساقيه ليحرك دورته الدموية ·· وقال له الربان : – تقدم ··

ومضى سيمون الى الامام ·· وقد أحس بالسلاح يلتصق الى ظهره ، وتسلقا سلما ضيقا ثم سلكا ممرا ليصلا الى صالون اليخت الذى يقع فى المؤخرة ·· وهناك كانت ريتا جالسة وقد تمددت بتراخ ··

وقال لها أوتا بلهجة غاضبة : – هاهو ··

وقالت به : فلتقفك وثاقة ··

– لا يجب ذلك ياجريتا ·· نعم ولتصدقينى ··

– أتخاف منه ؟ ويمثل مالديك من عضلات ومعك هذا المسدس ؟

وقال لها بانفعال : حسنا ·· وقام بنزع القيود من يدى سيمون ··

ووقفت جريتا واتجهت ناحية الاسير لتقوم برفع

الرباط الذى كان يغطى فم الرجل • ولم يبد سيمون أية تأوهات بل قال لها وهو يتابع ثورة البحار : ــ شكرا ياعزيزتى ••

وراح يدلك يديه وهو يستدير حوله متأملا أرجاء المكان .. بينما ظل أوتا قابعا فى احد الاركان يراقبه عن كثب ومسدسه فى يده •• (وسأل سيمون : ــ هل يمكننى التدخين

وقالت له جريتا وهى تشير الى المائدة :

ــ عليك بخدمة نفسك .. والولاعة هناك ايضا .

ــ شكرا وهل يمكننى تناول بعض القهوة ؟

وقالت له المرأة بغضب : ــ لا •••

ــ وآسفاه •• اذن يمكننى الاستغناء عنها ••

وعلق أوتا : ــ أنك ستحرم من الكثير عندما تموت ياسيمون •

ــ أنها أمنية بعيدة ياعزيزى •• ولتعلم باننى سأكون قائما بزراعة حديقتى فى سلام •

وحولى أحفادى بينما تكون أنت فى عداد الاموات •• وهذا ما يلطق عليه القانون البقاء للازكى .. لانك احمق ياآريزونا •

ــ اننى ادعى أوتا ••

ــ أنه أمر يأسف له سكان تلك الولاية ••

وتدخلت جريتا خاصة وأنها تدرك طريقة القديس فى محادثة غريمه والتى تنتهى بسيطرته على الموقف . وقالت بلهجة حازمة :

ــ كفى .. فاننى على غير استعداد لسماع مونولوج المهرج سيمون تمبلار •• ولتدرك بأن ذلك لا يجدى لاخراجك من هذا المأزق •• والان هل أنت على استعداد للادلاء بما لديك من حقائق •• !

وأجاب على التو :ـ نعم ٠٠ خاصة وأن الحقيقة تجعل الامور رائعة أمامى ٠٠ فما رأيك فى هذه الحقيقة الاولى ياعزيزتى ؟ ٠٠

اعترت المرأة ثورة غاضبة ولكنها ما لبثت أن استعادت هدوءها ٠٠

ـ ماكانت خطتك الليلة الماضية ؟ .. ولم غادرت السجن ؟ ٠٠

وبدا مندهشا ومضى يدخن وهو يبدو غير مكترث بل كان ممتلئا حيوية ونشاطا :

ـ ألم يكن ذلك بديهيا ؟ ٠٠ أم يلزم أن يكون المرء أوتا لكى يدرك بأننى كنت أتعاون مع الشرطة ؟ لقد وقعت تعاقدا معهم ومازالوا يأتمنوننى حتى الان .. وتضايق البحار وتقدم قليلا شاهرا سلاحه متجها باصبعه ناحية الزناد ٠٠ وتنهد القديس متخاذلا :

ـ أيعقل أن يكون المرء بهذا الغباء ؟ حقا ٠٠ لماذا لا تتخلصين ياجريتا منه ؟

أنه لا يساوى بندقة ٠٠

وتجاهلت المرأة المداعبة وكانت تتطلع الى سيمون محاولة ادراك ما يرمى اليه ٠

ـ تحدث ٠٠ ولاى هدف ؟

ـ ان الامر فى غاية البساطة ٠٠ لقد أطلقوا سراحى للقيام بارشادهم عن سارقى اللوحات من بين الحاضرين الى الحفل ٠٠ ولعلها كانت فكرة صائبة ٠٠ اليس كذلك ؟

ولم يعدأوتا يتمالك أعصابه وأجتاز ما يفصل بينه وبين سيمون من مسافة قليلة شاهرا مسدسه وقد احس بأن جريتا هى الاخرى ترغب فى الخلاص من العدو اللدود .. لماذا لا يجهزون عليه فى التو ؟ .. ربما لانهم كانوا يريدون معرفة المزيد منه .. ؟ او لعلها تلك

الخاصية الغريبة التى كان يتمتع بها القديس والتى كانت تدرا عنه المخاطر فى اللحظات الحرجة ؟ .. ولم يدرك اوتا ما الذى حال دون قيامه بالضغط على الزناد لوضع نهاية القديس .. وبدلا من ذلك صاح به ..

ــ عليك بتوقيع عقد وفاتك ؟ ..

وقال له سيمون : ــ احسنت ايها القرد الكبير .. وما جدوى ذلك .. وهل فعلت ذلك بالنسبة للامير ؟ .

وأحسست جريتا واوتا بالرعدة تسرى فى أبدانهما .. وكيف تسنى لسيمون ان يعلم بالامر ؟ .. وقد كان حبيس الغرفة فى أسفل .. وها هو يدرك ما وقع منذ ساعة فى هذا المكان ؟ .. ولم يحاولا الدخول فى تفاصيل الموضوع فقد كانا يريدان الانتهاء من القضاء عليه وزمجر اوتا :

ــ هل عملت على الوشاية بنا ايها الوغد ؟

ــ انها ماكانت هدية تستحق الذكر .. ومن ذا الذى يتقبل القاذورات ..

وصاح البحار غاضبا : ــ دعينى أجهز عليه يا جريتا ..

بينما ضغطت المرأة على أسنانها وقد لاح الغضب بينا على وجهها :

ــ اتراك ابلغت الشرطة عنى يا سيمون ؟

ووقف القديس كما لو كان يقدم احد البرامج الهزلية فى التليفزيون وقال لها :

ــ يا له من سؤال وجيه ؟..

ودوى صوت اوتا يعلن :

ــ كفى .. لنجهز عليه ولننته من أمره ..

وخيم على المكان صمت رهيب .. وقد باتت ملامحها

متسمة بالقسوة تماما كما كانت لحظة التخلص من الامير عند الفجر .. وتنهدت قليلا .. وقد لاحت لها نهاية سيمون تمبلار قريبة .. وما لبثت ان قالت :

ـ حسنا .. انك على صواب يا اوتا .. يجب ان نجهز على القديس .. ولا سبيل امامنا غير هذا لتأمين أيامنا القادمة ..

وظل القديس واقفا غير مبال باقتراب لحظة اعدامه .. وعاد يمسك بسيجارته ليقول :

ـ انني لا اعرف اين يكمن الشر ؟ .. لقد اطلقوا سراحي للارشاد عن سارقي اللوحات ؟

ودفع به اوتا ناحية السلم .. ولكن جريتا عادت توقفه .. اذ لم تكن تقر تلك الطريقة في محو ذلك الرجل الذي احتل مكانا مرموقا في عالم المغامرة والذي قد يصبح شريكا نافعا لها ؟ وقالت :

ـ لا .. ليس الان .

وقال سيمون : ـ شكرا يا عزيزتي .. ولعلك ادركت انه ما كان لي القيام بابلاغ الشرطة طالما كان أوتا بعيدا عن الحفل ؟ .. واني لاعلم انه يتعين على ارشادهم الا ان الوقت لم يتح لي ذلك ..

وصاح به البحار : ـ ايها الكاذب ..

وقال له القديس محذرا :

ـ انك تؤذي حنجرتك بهذا الصياح ياصديقي ..

وأحس القديس بانه بات قريبا من التوفيق ..

وبالتالي كان على ثقة من النصر .. ولكن كيف ذلك ؟ .. ماكان باستطاعته ان يقطع بهذا وان كان الاحساس الذي لا يخطيء يساوره ، وشعر بأن جريتا مورجان كانت غير قادرة على القضاء عليه .. وما كان صياحها فيه الا

مظاهر خارجيــة تخفى ما فى اعماقهــا اذ انها متعلقة بالقديس رغم كونه احد اعدائها ٠

وتقدمت ناحية اوتا وقد بدت ثائرة وصاحت به :

ـ كفى يــا اوتا ٠٠ ان القديس يمــوت عندمــا آمر بذلك ٠٠

وتمهل الرجل قليلا فى مكانه ٠٠

ـ ان الامور تسير بطريقة حسنة يا اوتا ٠٠

وضغط الاخر على يديه وهو يدرك بأنه ليس بامكانه ان يتغلب عليه ٠٠ واسرعت جريتا تضع يدها فوق قبضة البحار ٠٠

ـ الهدوء يا اوتا ٠٠ ولتعلم باننى ارغب فى رؤيته يتألم امامى ٠٠ خاصة اننى اهدف الى الاستفادة من موته ٠٠

واستدارت لتسأله بلهجة حازمة :

ـ سيمون ٠٠ اتــراك ابلغت الشرطــة عنى ؟ ٠٠ او دفعت بهم الى طريق آخر ٠٠ ؟ او ٠٠

ومسكت عن المضى وقامت بفرك سيجارتها فى منفضة قريبة ، وانحنى ناحية المرأة محدقا فيها وقد ادرك انها بدأت تضطرب لوطأة نظراته ٠٠ وقال لها

ـ أم ان هناك طريقة ثالثة أكثر اثارة ؟ ٠٠ وعن نفسى فأننى لا أعبأ ٠ بما اتخذت حيال هؤلاء الاثرياء وما قد تقومين به مستقبلا ؟ ٠

وكانت جريتا صامته ٠٠ لا تدرك مدى ما يعانيه اوتا من غضب جارف ٠٠ وسمعت سيمون يقول :

ـ لتعلمى بأن القديس اجدى حيا منه ميتا ٠٠

وصاح البحار : **ـ لاتنصتى اليه يا جريتا ٠٠**

وأضاف سيمون ٠٠ أنها الحقيقة ياعزيزتى ان لك ان تستعينى بى ٠٠ او اعملى على قتلى بيديك الجميلتين

اللتين تعرفان استخـدام الخناجـر بمهـارة بـدلا من الاسلحة النارية ٠٠ وما الذى تجدينه بعد ذلك ؟ لا شىء سوى جثة هامدة ٠٠ لا شك انها ستجلب لك المتاعب ٠٠ ولا مجال لمقارنتها بجثة الامير زوجك ؟

ــ انك كاذب ياسيمون .. وأظنكتحاول الخلاص مما انت واقع فيه ٠٠

وعاد اوتا يعوى : ــ نعم ٠٠ يا جريتا٠٠ دعى لى امره ٠٠

وقال لها تمبلار يحثها :

ــ استمعى اليه يا جريتا .. وغدا تضع الشرطة ايديها على سارقى اللوحات ٠٠ وذلك لحظة محاولة بيعها دون وجودى معك ٠٠ ولئن تيسر لك الحصول من فينار على المليون من الفرنكات فان ذلك كان لقيامى بحث الرجل على الدفع ٠٠ ولو لم اكن هناك لما وافق على دفع فرنك واحدا ٠٠

فرنك واحد ..

وتفوهت غاضبة : ــفى هذه الحالة ،كنت سأبعتاليه

وقاطعها بهدوء :

ــ نعم ٠٠ ولكنك ما كنت لتربحى شيئا بهذا ٠٠

وعاد الصمت يخيم ٠٠ واليخت يشق طريقه بهدوء ٠٠ وما لبثت جريتا ان تمتمت :

ــ والان يا سيمون ؟

وهز اكتافه ٠٠ انلدى عميـلا على درجة كبيـرة من الثراء ٠٠ واحسبه سيرضى عن طيب خاطر بدفع قيمة اللوحات المسروقة ٠٠

وقال اوتا ساخرا : ــ حقا ٠٠ ثم يقوم بـالتالى بعرضها ؟

وقاطعه سيمون قائلا : ــ لا أيها القرد الكبير ٠٠ انه

سيحتفظ بهــا لنفسه ·· وسيقــوم بالتحفظ عليها فــى خزانته ·· واما عن الشرطة ؟ فانه لا يكترث بها ·· وفيما يتعلق باصحاب اللوحات فانه لا يعرفهم وهو يكتفى باشباع هوايته .. وهو على استعداد للتعهد بعدمتوجيه اية أسئلة لنا ·

وتمتمت جريتا : ــ عميل ؟ ·· لعلك كنت تنوى منذ البداية سرقة اللوحات ؟

ــ ماذا تقولين يا جريتا ؟ ·· ولماذا اتراجع بهذه البساطة امامك ؟ ·· اتراك تنسين ما اتمتع به من مهارة ؟ ·· اصغى الى : ان الهدف الذى ارمى اليه من وراء هذه المهمة لا يخرج عن كلمات قليلة تتلخص فى رغبتى فى الحصول على مليونين من الدولارات ··

وراح يتطلع اليها وهو يدرك بانه بات على قاب قوسين او ادنى من النجاح خاصة بعد ما علت الدهشة وجوهما عندما نطق بالمبلغ ··· وعاد يزيد من ارتباكهما بقوله :

ــ وذلك بسبائك ذهبية ··

وقالت المرأة بصوت خافت : ــ مليونين ··

وتمالك اوتا غضبه ليضيف : ــ وبسبائك ··

وعاد سيمون يؤكد : ــ نعم ·· انها هدية رائعة ·· وما اظنه يصعب الحصول على تلك المبالغ ··

ولم يكن اوتا ليركن اليه ولذا قال رافضا :

ــ انه يواصل الكذب يا جريتا ·· ولتتركى لى امر حسابه ·· ثم ·· نقوم ··

ــ ولعلنا بذلك نتفادى ضياع المليونين يا اوتا ··

وراحت تفكر وقد لاح التردد على ملامحها ·· لقد كان ما يعرضه سيمــون يستحق التأمل وقد يكون اوتا على صواب ·· ولذا قررت امرا وقالت لاوتا :

ــ اعده الى المخزن وارجع الى يا اوتا ·

وكاد العملاق ان يعاود المناقشة ولكنه تراجع ازاء اصرار جريتا التى كانت معتزمة المضى حسب ما يساورها ·· ولذا فقد غادر المكان يدفع امامه بالقديس ·· وما لبث ان القى به فى المكان المعد لاستقباله ·· واعادا غلاق الباب باحكام ·· ونادى على الحارس قائلا :

ــ عليك بمراقبته .. واذا تسنى له الفرار فلن نجد الفرصة لتبرير ذلك ··

وعاد الى جريتا ملحا فى الخلاص من تمبلار ··

الفصل الخامس عشر

كانت جريتا مستلقية تتطلع الى الافق ·· نهبة لخواطر عديدة ساورتها قبل مقتل الامير وتلح عليها باطراد بعد ان قام سيمون بتقديم ما لديه من اقتراح ·· وهكذا كان سيمون قد تصرف كما تراءى لها وانه باق على ما هو عليه لم يتغير ، يحاول التظاهر بمساعدة الشرطة فى الوقت الذى يسعى فيه لاغتنام الفرصة لتحقيق اهدافه ·· وها هو الان بين متناول ايديها وامامها الوقت الملائم لتصبح ثرية بمساعدته ·· وكان يكفى ان تعلن عن موافقتها لتوضع الامور موضع التنفيذ ··

ــ انك مجنونة يا جريتا ··

وكان اوتا قد تسلل ناحيتها دون ان تتنبه لذلك وقد لاح غاضب الوجه ، تنم هيئته عما يجيش به صدره من انفعال ··

ــ ان القديس وغد ·· قاطع طريق ··

ــ وماذا نكون نحن يا اوتا ؟

وصاح منفجرا :
ـ ها قد اصبحت تدافعين عنه ·· ! ويبدو انه يحاول خداعك واذا بك تقعين عمياء فيما يعدد لك من كمين ·· اليس كذلك يا جريتا ··
ـ دعنى وشأنى ··
وتقدم ناحيتها وانحنى عليها ونظراته خالية من اية مودة :
ـ لا ·· لن ارضى ان يعمل احد على خداعى ·· ان أمورنا مترابطة يا جريتا .. ولم يعد الامر يتعلـق باللوحات او بالملويونين من الدولارات ·· أنه هو نفسه الذى يشد اهتمامك ·· ولمـاذا تتهـافتين عليـه وتلقين بنفسك بين ذراعيه ؟
وأنسلت المرأة بحركة خاطفة وهوت بيدها على وجه شريكها وهى تقول :
ـ اعلم باننى ساقتلك يا اوتا اذا ما تفوهت بالمزيد من الكلمات ··
وهكذا استطاع القديس بما لجأ اليه من دهاء ان يوقع بين الاثنين ·· دون ان يتفوه بكلمة وقبل ان يتوارى قالت له جريتا بحزم :
ـ لتعد الى الميناء ·· وبلا ادنـى تأخير ·· ولتعمل على مراقبة تمبلار لئلا يفر ·· ورد ساخرا : ـ حسنا ايتها الاميرة ·
وراح سيمون يتجول فى سجنه متأملا ما حوله .. بعدما اودعوه طليقا خلال هذين اليومين ، فكان فى مقدوره التحرك كيفما اراد ·· وان كان ما يلوح له من امل يبدو واهيا ، خاصة وقد كانت الكـوة من الضيق بحيث لا يمكنه التسلل من خلالها .. وادرك ان جريتا لن تلبث ان تمسك بزمام زميلهـا هادفة للحصـول علـى

الملايين من الدولارات وبعملة ذهبية ٠٠ الا اذا امكن لاوتا ان يتغلب عليها ويمسك بزمام الامور ٠٠ والحقيقة ان هذا القديس كان يتميز باحدى الصفات النادرة الا وهى عدم الشعور باليأس مهما كانت الظروف حالكة ، وعلى النقيض من ذلك كان يزداد صلابة فى مثل تلك الاحوال هادفا المضى حتى نهاية الشوط ٠٠ ولو ادى به ذلك الى نهايته على حد قوله ٠٠ وهكذا راح يبحث ان وسيلة للخلاص ٠٠ اتراه يحاول تحطيم الكوة وقد يتمكن احد ممن يمرون عن قرب ان يبصروا به ٠٠ الا اذا كان اليخت يتجه الان الى الميناء فعندئذ قد تكون الفرصة ٠٠ مواتية له ٠٠

وتخلص سيمون مما كان يرتدى من ملابس الحفل ، واقترب من الفتحة التى لا تزيد سعتها عن حجم طبق ، واستطاع ان يرى المدينة والبواخر المتراكمة فى الميناء وادرك بانهم فى الطريق الى المرسى المعتاد لليخت ٠٠ واحس بالباب يفتح واذا بالحارس يقول له مهددا :

ـ اذا لمست الكوة فسأعمل على قتلك ايها الوغد

ـ وهل يتطرق الى ذهنك بأننى احاول الفرار من خلال تلك الفتحة التى لا تكاد تسمح بمرور فأر ؟

ـ انها التعليمات الصادرة الى ٠٠ واذا ماكنت تعانى من الحرارة ٠٠ فلتمت اذن اختناقا ، وبهذا تجعلنا نستريح ٠

واغلق الباب وارتد سيمون بعيدا عن الفتحة ، والحقيقة انه ما كان براغب فى الفرار ، بل كان يسعى للمضى حتى نهاية المغامرة ٠٠ مواجها جريتا وأوتا ٠٠ وأتخذ سيمون مكانا له وأغمض عينيه وراح يتذكر حال جاكمون بعد اختفائه ٠٠ وكان الاخير يستعد لجولة جديدة فى البواخر القابعة فى الميناء ٠٠ وقد احس

بالحماس لهذه الفكرة ومن يدرى فلعل القديس متواطىء مع اللصوص ·· وربما كان هو رئيسهم ؟ ولذلك فانه يتعين القبض عليه والحيلولة دون فراره ·· والا باتت المهمة بلا نهاية دانية ·· واذا ما كان الجناة قابضين على سيمون فعليه أن يعمل على اطلاق سراحه ·· ولذا قرر التوجه الى اليخت والقيام بالبحث بين جوانبها منقبا لعله يعثر على جديد يرجو من ورائه تقدما للقضية ·· وهكذا كان الرجل يبدو حازما ازاء رجاله وهو يقول لهم :

ـ لتكونوامهذبين غير متهاونين ·· مهذبين حازمين ، هادئين اقوياء ·· واظن ان من السهل العثور على رجل أكثر مما يتعلق الامر بلوحة ·· ولذا فلا تتركوا ركنا واحدا دون أن تسعوا اليه ··

وعاد اليخت الى مكانه المعتاد وصعدت جريتا الى مكانها وهى تفكر فيما عرضه سيمون وكانت اول من فطنت الى حركة عربات الشرطة وصعودهم فوق البواخر ·· وباشارة من يدها نادت على الربان : وهى تقول له : القديس ؟

ـ انه ملتزم الهدوء فى مكانه · وكان يحاول ان يتأمل ما يجرى فى الخارج منذ قليل ·· وقد لحق به الرجل واعاده الى مكانه ·

ـ لعلهم لا يجدونه بالاخص ··

ـ فلتكونى مطمئنة ·· فقد قمت بوضع راية أمام الفتحة من الخارج وهكذا لن يتمكن القديس من اصدار أية اشارات تدل على مكانه ·

ـ ان هذا لا يكفى ··

وغادرت مكانها وهى تبدو مضطربة واوتا يمضى خلفها وقالت وهى تشير بيدها :

ـ انظر هناك ٠٠
وزمجر البحار : انهم رجال الشرطة ٠
ـ لا شك انهم سيعودون ولعلك تذكر بأن جاكمون قام باستجوابى الليلة الماضية ولذا فاننى اتوقع حضوره الينا ٠

ـ فلتدعى لى أمر سيمون ولسوف اقوم بقيده واخفائه فى مكان لا يطرأ على بال ٠٠ ولتعتمدى على فى ذلك الامر٠

والقى اليها بنظرة تنم عن اعتزازه بنفسه وراح يقفز فوق درجات السلم ٠٠ وما أن ادرك مكان السجين حتى قال للحارس :

ـ هيا اذهب الى اعلى فان لى حديثا مع الرجل ٠٠
وما أن توارى الحارس حتى اظهر اوتاما كان يحمل من قطعة حديدية ثقيلة ٠٠ وبخفة اقترب من الباب والقى بنظرة خاطفة من خلال ما به من فتحة صغيرة ليرى سيمون راقدا فوق فراش من الصناديق والزكائب ٠٠ ويبدو أن الفارس كان يستريح وتذكر اوتا بأن جريتا كانت ترغب فى التزام سيمون للهدوء أثناء زيارة الشرطة حتى لايكتشف مكانه ولذا فانه قد قرر تحقيق ما تريد ولكن للابد ٠٠ وامسك الربان بالمفتاح وهو ملتزم اقصى درجات الحذر ٠٠ وادرك بأن الحظ يحالفه ٠٠ خاصة وان تمبلار كان راقدا ٠٠ ووقف اوتا عند حافة الفراش ورفع القطعة الحديدية التى كان يتسلح بها ليهوى بها على رأس القديس وهكذا يضع حدا لحياته وفجأة صاح اوتا :

ـ ما هذا ؟ يا الهى ؟
والحقيقة انه يحدث ان تنجح بعض الكمائن البسيطة

وذلك لابعد مما يتصور المرء ..
لم يكن هذا النائم الذى رآه اوتا الا بعض الزكائب التى تعلوها سترة الفارس وقبعته وهى الملابس التى كان يرتديها فى الحفل بالاضافة الى احذيته الطويلة التى كانت تبرز اسفل الفراش .. ففى هذه اللحظة كان سيمون قد اصبح خارج الغرفة وهو يجذب الباب خلفه بحركه خاطفة محكما اغلاقه .. والقى اوتا بنفسه على الباب ولكن ذلك لكى يصطدم به ليس الا وصاح وقد استبد به الغضب :
ـ اذا لم تفتح الباب يا تمبلار .
ــ نعم يا حفيدى لكى اقدم لك عنقى لقمة سائغة .. لتهدأ قليلا .. ولا داعى لاثارة الامور .. فلهذا أثر سيء على صحتك .. خاصة واننى على ثقة بأن هناك من يبحث عنى فى هذه الارجاء .
وابتعد على اطراف قدميه .. واحس اوتا بالرغبة فى تحطيم الباب بما يملك من قطعة حديدية .. ولكنه عاد فتمالك نفسه .. وقد راح يفكر فى كلمات سيمون الاخيرة .. خاصة وان هناك رجال الشرطة لا يلبثون أن يدركوا اليخت .. ولذا فانه يفضل البقاء فى مكانه هذا بدلا من التعرض للاسئلة العديدة التى سيقومون بلا شك بالقائها عليه .. ومضى القديس دون أن يعترض احد طريقه .. ورغم ذلك فقد كان ما يتبقى من ملابس الحفل يضايقه ولذا فانه لم يتردد فى الدخول الى قمرة لاحت امامه ليرتدى بنطلونا ابيض اللون وقميصا من التى يرتديها بحارة اليخت .. ولم يدم اكثر من دقيقة .. وادرك الصالون لحظة ان كان جاكمون يدخل اليه ورفعت جريتا نظراتها عن الكتاب الذى كان يبين يديها وقد لاحت غير مرحبة بالقادمين .. وتمتم المفتش : ارجو

المعذرة يا سيدتى .
وقالت له بغطرسة : انت ثانية ؟ اننى الاقيك دائما معترضا طريقى .. ماذا تنشد اليوم ؟
ــ اننا نبحث عن رجل .. ولعلك قد طالعت اسمه فى الصحف .. انه يدعى سيمون تمبلار وقد كنت تتحدثين معه بالامس وما لبث ان ابتعد عنك بلا مقدمات .
ــ وهل تأمل ان تجده هنا ؟ يا لها من فكرة غريبة .. اتراه يغادرنى عندما كنت اسعى لمحادثته ليعود ثانية الى ظهر يختى ؟ .. ومن يدرى .. ربما ليقدم الى اعتذاره .. على ما بدر منه ؟
وأضاف الشرطى : اننى يا سيدتى لا أسعى لمعرفة تفاصيل أساليب القديس فى المعاملة .
ـ وعلى كل فلك ما تشاء .. واذا ما كنت ترغب فى البحث بين أرجاء اليخت فلتقم بذلك بينما سأظل هنا اطالع كتابى هذا ..
وعادت تتابع صفحات كتابها معبرة عن صدق نواياها .. غير متابعة ما يقوم به رجال الشرطة .. وسمعت جريتا من يقول لها من الغرفة المجاورة .
ـ ارجو المعذرة أيتها الاميرة .. ما الذى تريدين من الطعام اليوم ؟
ودلف الى المكان بحار هادىء لا يعبأ بما يحدق به من مخاطر وكان القادم هو القديس .. وذهلت جريتا مما ترى واتسعت عيناها من الدهشة .. وما لبثت ان قالت لجاكمون بلهفة :
ـ أظنك لن تستغرق فى البحث طويلا أيها المفتش ؟
وكان الشرطى قد غادر الغرفة فلم ير القديس .. واستدارت جريتا ناحية تمبلار .. وهى تتأمله كما لو كان شبحا وابتسم لها وهو يقول بنبرة عطوفة :

ـ لقد حضرت لابرهن لك يا عزيزتى جريتا على اننى اعمل الى جانبك ..

وظلا متقاربين وأعينهم تردد الكثير وما جـــدوى الحديث اذن ؟ وراحا يتذكران تلك المغامرات التى مرت بهما وتلك الساعات التى كانا ينعمان فيها بالحب ..

ـ اذا ما وافقت يا عزيزتى فاننى لن اتفوه بكلمة فيما يتعلق بك .. فاننى لا احبذ ان يقبض عليك المفتش أو حتى يتشكك فى أمرك ..

ـ ليتنى استطيع الثقة بك يا سيمون .

ـ ألن أكون معك ؟ .. ولقد اتيحت لى فرصة الفرار ولكننى فضلت البقاء .. والان لماذا لا تجيبين يا جريتا ؟ اتراك ارسلت قردك الكبير ليقتلنى ؟ نعم فلقد دخل الى حيث كنت اتناول قسطا من الراحـــة ، ولعله لم يكن يحاول تمشيط شعرى بالقطعة الحديدية التى كان ممسكا بها .

وزمجرت المرأة ، ياللاحمق .. لقد كان يسعى الى قتلك .. وهل قضيت عليه ؟

ـ ليس القتل احدى عاداتى يا جريتا .

ولم تعد جريتا تقاوم ، خاصة وقد كان سيمون يتصرف بلباقة تفوق الوصف .. وما كان امامها غير اتخاذه شريكا لها تستند اليه فى أعمالها .. وبحركة تدل على النشوة أحاطت عنقه بذراعها وأحنى هو رأسه قليلا .. وكانت تلك القبلة تمحو الدقائق المزعجة الماضية .. وراح سيمون يحتويها بين ذراعيه وقد تهيأ له النصر قريبا بعد ما أضحت تلك العدوة بين يديه .. وما أن تذكر الصديق اوتا حتى راح يضحك .. وتخيل منظر جاكمون

عندما يجده فى المخزن .. والواقع ان المفتش صاح قائلا :

ـ ما هذا ؟ ماذا تفعل هنا أيها الربان شميدت ؟

وقال البحار منذرا ..

ـ كنت فى جولة ولا شك ان احد الرجال لم يفطن الى وجودى وقام باغلاق الباب دون أن يبصر بى ..

وتنهد الشرطى ومضى يقول :

ـ حسنا .. ما عليك اذن الا الصعود ..

واتجها ناحية السلم .. وكان جاكمون يلهث وهو يصعد درجاته .. وأحس الرجل بأن جهوده على وشك أن تضيع سدى ورغم هذا فقد كان عليه أن يمضى فيها عامدا الى ازعاج القوم ولاى هدف .

وكانت جريتا مازالت محتضنة سيمون تواصل طبع القبلات على فمه وهى تقول له معترفة :

ـ لتقم بشىء يجعلنى أثق بك ..

وتمتم : عزيزتى .. ألم اقدم لك البراهين العديدة ؟ فلقد تعرفت عليك فى الحفل عندما أبصرت بك .. وبدلا من السعى وراءك كان بامكانى تسليمك لجاكمون .. بالاضافة الى ادراكى لما لجأتما اليه من طريقة للخلاص من ديمترى .. وكان حسبى اشارة الى الجريمة التى تتعدى أمر السرقات أهمية لدى الشرطة :

ـ ربما ..

ـ بالتأكيد يا عزيزتى .. ولا داعى للتردد ورفض المليونين من الدولارات .. من أجل لوحات لم يعد بامكانك الاستفادة بها ؟

ـ ولماذا ؟

ـ لأن جاكمون قام بلا شك بتحذير الضحايا وطلب اليهم رفض أية عروض .

ولاحت بعض الاصوات على مقربة وفتح الباب ليقول جاكمون :

ـ لم تستدل على أثر لسيمون ·· ولسوف نلقى بنظرة فى مكان طهو الطعام ونرحل ··

واستدار سيمون على التو واتجه الى المطبخ الملاصق للغرفة ليضع فوق رأسه طاقية بيضاء عالية كانت جريتا قد أشارت الى مكانها قبيل دخول الشرطى ·· وتظاهرت بالهدوء ··

ـ لعلك تكون أيها المفتش قد أمسكت بالعديد من الرجال مختبئين فوق اليخت ؟

ـ لا ·· بل واحد يا سيدتى ·

وتظاهرت بالقلق وقطبت حاجبيها ولكنه أضاف ضاحكا :

ـ انه الربان ·· ولقد اودع بطريق الخطأ داخل احدى الغرف ·

واتجه ناحية مكان الطهو ومضت خلفه وهى تبدو هادئة وقال لها :

ـ اننى لن أحاول اضاعة الوقت ·· وهكذا يمكنك ان تكونى مطمئنة ·

وأبصر بالطاهى يقف أمام الموقد وأمامه طنجرة ينبعث منها البخار وقد انحنى امامها وهو يحرك ما بها بنشاط وقد راح ينشد بصوت أجش أغنية القدر .. وابتسمت جريتا ·· وغادر جاكمون مكانه متلبد الوجه ·

ـ اننى اقدم اعتذارى يا سيدتى ·· ولن تعودى تبصرين بى ثانية هنا ·

وأحنت رأسها قليلا وما لبثت ان قالت له بطريقة ودية :

ـ انك تقوم بتأدية واجبك واننى لارجو أن توفق فى القبض على تمبلار ٠

وصعد الشرطى السلم واختفى ٠٠ واستطاعت جريتا من خلال الكوة القريبة ان ترى الرجال يتجهون الى يخت مجاور ٠٠ والقت بنفسها متهالكة وقد احست بالارتياح ناحية سيمون الذى سخر من الشرطة .. ولم تكد تلتقط انفاسها حتى كان اوتا أمامها ٠٠ غاضبا كالثور الهائج ٠٠

ـ أين هو ؟ اننى اريد أن اقتله ٠٠

ـ عمن تتحدث يا أوتا ؟

ـ عن هذا الجاسوس الحقير ؟ عن القديس الذى تزمعين ، وتلحين لحمايته ٠٠ تصورى يا جريتا قد عمل على حبسى فى المخزن و ٠٠

وقالت له بشدة : كفى ٠٠ لقد عزمت هذه المرة على قبول ما يعرضه تمبلار ٠

واصطبغ لون اوتا ٠٠ وكاد الغضب أن يكتم انفاسه ٠٠ وها هو القديس يحضر من ناحية المطبخ وكان قد نزع ملابس كبير الطهاة وهو بادى النشوة لما قام به عند وجود جاكمون وخطى أوتا ناحيته ولكن سيمون حذره من بغية ذلك ٠٠ بصوت هادىء :

ـ اننى احذرك ياأوتا ٠٠ ولسوف اقوم بكسر ذراعيك اذا ما حاولت الاقتراب منى ٠٠ وذلك كبداية ٠٠

وقالت جريتا بحزم ٠٠ : ـ كفى ٠٠ انتما الاثنان ٠ لا مناقشات أخرى ٠ وهذا ما أنشده ٠ ولتعلما بأننا اصبحنا من الان فصاعدا شركاء ٠

وحدقت فى وجه أوتا الذى اذعن للامر دون معارضة

ـ حسنا ٠٠ وان كنت ستندمين على ذلك فيما بعد ٠٠٠

ـ بل انني لا أريد ان يهدأ لى بال حتى أحصل على مليونين من الدولارات ٠٠ وعليك منذ اللحظة ان تعمل ما يرى سيمون ٠

وقال تمبلار : ـ وهكذا تنتهى المشاكل ٠

وجلس وهو يتناول سيجارة من علبته واشعلها بنشاط وهو يضيف

ـ بعد يومين سنكون على درجة من الثراء ما كنا نحلم بها ابدا ٠

الفصل السادس عشر

كانت جريتا قد عقدت مجلس الحرب فى الصالون ومضت تقول

ـ استمع الى ياسيمون ٠٠ لقد وافقت على منحك ثقتى ٠٠

وزمجر أوتا : ـ وقد اخطأت بذلك ٠

ودون ان تلتفت اليه استطردت تقول :

ـ واننى لانوى اتخاذ كافة احتياطاتى ٠

ـ لك ما تريدين يا عزيزتى ٠٠ ولك ان تسعى وراء كافة الضمانات ٠٠ خاصة وأن الامر بسيط بالنسبة لى ٠٠ فانك تطلبين النقود وعميلى ينشد اللوحات ٠

وأنحنت وهى تشير الى نقطة على الخريطة الموضوعة فوق المائدة امامهم ٠٠ وقالت انك ستقوم بتحديد المقابلة

هنا أى على مسافة ثلاثة اميال بالتحديد وبهذا تكون فى المياه الدولية • وعلى المشترى ان يلحق بنا بمفرده وان كان يمكن بطبيعة الحال ان ترافقه انت ولسوف يقوم باحضار المليونين من الدولارات •• ولتذكر ياسيمون بأن القيمة ستكون ذهبا وعندئذ تكون اللوحات فى متناول يده •• ولسوف اقوم قبلا بربطها بقطع من الرصاص حتى القى بها فى الماء عند اية خيانة •• هل يبدو كلامى واضحا ؟

ـ نعم ياعزيزتى •• ولسوف اعود الليلة الى اليابسة •• والافضل لى ان اتفادى الميناء لئلا تصادفنى مقابلات غير مستحبة الى •

ـ ان أوتا سوف يقوم باصطحابك بواسطة الزورق •

ـ فكرة رائعة • وما أن اصل حتى ابدآ فى الاتصال بعميلى •• وأظنه سيكون بحاجةلبعض الوقت حتى يقوم بجمع السبائك الذهبية • ولنفرض ان ذلك يمكن ان يتم خلال يوم •• أى ان الامر كله سينتهى فى خلال ثمانية واربعين ساعة •• ولن يكون امامنا وقتئذ الا اقتسام المبلغ سويا •

وتدخل أوتا ليقول : ـ وذلك على أساس ثلاثة إنصبة متساوية •

وقالت جريتا معترضة :

ـ لا •• فعلى استعادة ما تكبدت من مصروفات •• والتى تتمثل فى شراء اليخت والعمل على تأثيثه وقيامى بالزواج • ان هذا كله ليبيح لى الحصول على نصف المبلغ .. وليقنع كل منكما بنصف مليون من الدولارات •

وتلاقت عيناها بعينى سيمون الذى لم يبد اعتراضا وعبر عن ذلك بانحناءة من رأسه

ـ اننى أوافق .. خاصة وقد انضممت اليكما مؤخرا .

وتنهد أوتاوهو يعلن موافقته .

وبعد ما تناول سيمون العشاء غادر اليخت قافزا الى الزورق .. وكان اليخت قد توقف بعد الظهر بين الجزر المتناثرة .. وقالت جريتا لاوتا الذى كان فى طريقه الى الزورق :

ـ لتترك لى امر اللوحات . ولسوف اصدر تعليماتى فى اللحظة المناسبة للتوجه الى المكان المتفق عليه وأما أنت ياأوتا فلا تبتعد عن تمبلار .

وتنهدت قبل ان تنحنى فوق حافتة اليخت وكان القديس واقفا فى القارب يبتسم لها

ـ لك ان تثقى بى ياعزيزتى وما هو الا وقت قليل حتى يتضحلكحسننواياى .

وقفز أوتا بدوره الى القارب .

وقال سيمون يخاطبه : ـ اننا سنتجه رأسا الى نابولى .. وهذا أفضل السبللتفادى أية متاعب .. الى اللقاء بعد يومين ياعزيزتى .

وبحركة عنيفة أسرع الامريكى ينطلق بالزورق تجاه الخليج وسيمون يراقبه عن كثب وقد أدرك بجلاء ما يجول بذهن الرجل .. لا شك انه كان يعد لخيانة يتخلص بها منه .. وهذا ما يفسر اذعانه ببساطة ، وخاصة ان اوتا كان يعانى من الغيرة لما تبديه جريتا من تقارب ناحيته وهكذا ظل متمسكا بحذر شديد وان بدا غير مكترث ، وقعد فى مؤخرة الزورق وهو يقول :

ـ اننى أفضل الا يبصر بى احد اثناء مرورنا على مقربة من اليخت .

ووافق البحار على ذلك بطريقة لا تخفى ما يحمله من ضغائن للاخر ·· كانت الليلة حالكة وقد راحت بعض السحب المنخفضة تتسابق ·· وكانت الظواهر الطبيعية تنبىء بجو عاصف ·· وكان كل من الرجلين يتمسك بالصمت ·· ولم يكن أحدهما يرغب فى محادثة الاخر ·· وكانا يتبادلان النظرات وكأن احدهما يخشى ان يهاجمه الاخر ·· وكان اوتا يقف امام عجلة القيادة يؤدى عمله ·· والزورق يتراقص بين الامواج القصيرة ·· واحس سيمون بان الهجوم عليه بات قريبا ·· وكان على ثقة من ذلك · ودون ان يلاحظ القديس ضغط أوتا على احد الازرار ، واطلق المحرك بعض الاصوات وتوقف وما لبث ان عاد يتحرك .. وقال البحار بغضب :

ـ ليذهب الشيطان بهذا الزورق .. رغم اننى قمت بتزويد الخزان بنفسى هذا اليوم وانحنى البحار وراح يعالج الاجهزة وحاول مرة او اخرى .. ولم يعد المحرك يعمل ، وبدأ سيمون يستعد للجولة ، وتظاهر شميدت بأنه منهمك فى اصلاح ما أمامه دون ان يراعى وجود زميله ·· ولكنه مالبث ان قال له بنبرة طبيعية :

ـ هل ابتعدت قليلا حتى القى بنظرة على الوقود ·

وتحرك سيمون قليلا بحيث يمكن الرجل من كشف الغطاء الواقى للمحرك · وانحنى أوتا بينما كان القديس يقف على أهبة الحذر ·· ولو ان الشمس كانت مشرقة لابصر البحار بوجه سيمون مشرقا من الفرحة ·· وفجأة أنتصب البحار وبيده مفتاح انجليزى منقضا به تجاه رأس زميله ·· وتفادى سيمون ذلك بالتفاتة بسيطة ··

وهذا ما أفقد الرجل توازنه وجعله يترنح وما لبث ان تمالك نفسه بعد ما افلتت يده ما كان فيها ٠٠ وما ان اعتدل فى مكانه حتى راح يتحدى غريمه بقوله :

ـ ان المسكينة جريتا تنصت اليك ٠٠ وتصدق اكاذيبك ٠٠ ولعلك لا تحاول نفس الامر معى أيها القديس ٠٠ فاننى ٠٠

وانقض على سيمون وامسك بقضبته واجبره على ان يدور حول نفسه وقام بتسديد ضربة عنيفة له ٠٠ وكان واثقا من قواه وما كان يشك فى انه سيتغلب على القديس اذا ما حاول ان يقاتله ٠ ولذا فانه لم يتوان فى دفع غريمه الى الامام ناحية السطح ٠٠ ولم يكن أوتا يعلم شيئا من مقدرة القديس التى كانت تبدو خارقة عندما يبرد مستكيفا ٠

وكان أوتا يزمجر : ـ سوف انال منك ٠٠ ولتعلم بأننى سأعود وحدى ٠٠ ولتكون واثقا بأن جريتا ستصدق روايتى عندما أبلغها بأنك لجأت للفرار ٠٠ وأنك لم تكن جاد فيما عرضت من أمور ٠

وقال له سيمون بدهشة : اصحيح ما تقول ؟

واحنى رأسه تفاديا لما كاله اليه الاخر من ضربة بيده ٠٠ ومالبث أوتا ان القى بثقله فوق عدوه وامسك بذراعيه واحتواه ملقيا بنفسه فى الماء .. وذلك للغوض بغريمه الذى كان يمسك به ويجذبه الى القاع ٠٠ وكان أوتا بحق غطاسا ماهرا ولذا فقد ادرك بأنه منتصر بلامحالة على سيمون ، خاصة وأن المسكين كان قابعا بين ذراعي البحار حتى لايتمكن من الهرب ٠٠ وعلى حين غرة قام سيمون بتوجيه ضربة بركبته فى بطن أوتا الذى تأوه بشدة ٠٠ وكان لهذه الضربة المفاجئة كبير الاثر على الربان الذى فقد توازنه وراح يبتلع الماء ٠٠ وهكذا انقلبت

الامور عكس ما كان يبغى ٠٠ وادرك الامريكى بأن الفرصة ما زالت مواتيةأمامه للنيل من عدوه وما عليه الا ان يصعد قليلا الى السطح ليعود ثانية الى الاعماق ٠٠ ولم يتركه سيمون يفعل بل قفز ناحيته وأمسكه من تدميه وراح يغوص به الى الاعماق ٠٠ واحسن أوتا بأنه بات عاجزا عن المقاومة وقد اظلمت الدنيا أمامه وتوقف أوتا عن المصارعة ٠٠ وكف سيمون عن الامساك بقدميه واتجه الى السطـح وحيدا وقد انتصر مرة اخـرى ٠٠ ومضى يسبح حتى ادرك القارب وما هى الا ثوان حتى كان ينطلق تجاه الميناء . وادرك أنه من العبث ان يذهب عن طريق نابولى خاصةوان المنطقة كانت هادئة وقد حول الجو الملبد المكان الى صحراء خالية ٠٠ وتسلل سيمون الى ركن هادىء من الميناء وابصر على قارب قريب بسروالين غير منشورين قام سيمون بالسطو عليهـا وارتدى ما عثر عليه من ملابس تتيح له الان ان يمضى الى الرصيف مطمئنا ٠٠ وابصر بأحد المقاهى عن قرب ٠٠ وهناك وجد جماعة من بحارة الشمال مع بضع فتيات ويبدو أنهم كانوا قد افرطوا فى الشراب حتى لاح ذلك جليا عليهم ٠٠ ودلف سيمون الى الداخل واتكأ امام المنضدة وقال للرجل الواقف امامه

ـ اريد بعض الكونياك ٠٠ دول ٠٠ وكذا قطعة معدنية لمكالمة تليفونية ٠٠

وقام الرجل باعطائه ما اراد ٠٠ وهو يقول

ـ وعليك بالا تثرثر طويلا فانى لا احب من يرقدون عند الجهاز

ـ لا تخش ذلك فاننى سأقوم باستدعاء صـديق

وضحك سيمون وهو يدخل الى الكابينة فى مؤخرة المقهى ، وقام بطلب الرقم راجيا ان يكون مندوب التأمين

هناك ·· وحالفه الحظ مرة ثانيـة ·· اذ أنه سمع من يرد عليه ··

ـ آندريه جان ؟

ـ نعم ·· من المتحدث ؟

ـ الرجل الذى تبحث عنه ·

ودهش آندريه وكيف له ان يصدق حقيقة تلك المكالمة الليلة ··

ـ انك انت ياس

ولم يتركه الاخير يكمل

ـ ليس امامى متسع من الوقت ·· وعليك بسرعـة التقرير .. فلترتد ملابسك وتستقل عربتك لتتناقش معى قليلا ·· فأمامنا يومان وليلة ولا أكثر من ذلك ·· وفى مواجهة مهمة شاقة أمامنا ·· ولعلك تصدقنى ··

ـ حسنا ·· حسنا ·· وهل لا يمكن تأجيل ذلك

ـ لا · الان حالا ··والا وداعا لما يهمك ·

ـ حسنا ·· ولكن اين أنت !

واعطاه سيمون الايضاحات اللازمة ثم اعاد السماعة الى مكانها ورجع الى البار وهو يقول :

ـ كونياك آخر ·· ان الجو الليلة ليس حارا ··

الفصل السابع عشر

كانت الشمس الساطعة قد جعلت ساحل الريفييرا جديرا بما يشتهر به من روعة بعيدا عن أية آثار لاحداث الليلة الماضية ·· وكانت الالوان زاهية وكـأن أشعـة الشمس تنعكس على اللالىء ··

وصعدت جريتا الى سطح اليخت وراحت تتنفس

بعمق ·· وهى تتصور ما ينتظرها من مستقبل ملىء بالفرحة والجمال ، بالحب والثروة ·· ولم تعد تتشكك فى سيمون وقد كانت متأكدة من عودته ومعه المشترى الثرى ·· والحقيقة انها كانت تحب القديس رغم ما كان بينهما من معارك ماضية ، وها قد انتهى كل هذا وأصبحا شريكين يعدان معا لحياة مترفة ··

ودلفت الى داخل الباخرة وأمسكت من احد الدواليب بجهاز للغطس وقامت بوضعه فوق أكتافها ·· ولكى يبدو الامر عاديا أمام الطاقم قامت بالامساك بحربة لصيد الاسماك ·· ومن ثم قامت بالنزول الى الماء ·· وكانت فى طريقها لاستخراج زجاجات الاوكسجين الفارغة المدفونة تحت الرمال ·· تلك الزجاجات التى تمثل كنزا لا يستهان به ·· ولم تستغرق وقتا طويلا للاهتداء الى المكان ؟ وراحت تغوص الى الاعماق ومضت تشرع فى مهمة استخراج الثروة وما هى الا ثوان حتى كانت قد أخرجت من الرمال الانابيب الثلاث .. وبلا عجلة قامت بربطها بواسطة رباط من النايلون واتجهت الى السفينة وهى تقطر خلفها الكنز ·

وقامت باصدار بعض الاوامر وهى بعد فى الماء حتى ينهمك الجميع ولا يشاهدونها وهى تصعد الى السطح ومعها الاثنتا عشرة لوحة التى تمثل ثروة طائلة ·· ولم يكن لديها الان من شاغل الا توجيه اليخت الى المياه الدولية ·· لتقابل ذلك المشترى الذى سيقوم بدفع مليونين من الدولارات ثمنا لهذه اللوحات التى يسعى اليها ·· واستلقت جريئا تحت أشعة الشمس حتى تجفف جسدها المبلل بمياه البحر المالحة ·· وهى تشعر بنشوة بالغة ، مدركة أن الايام قد ابتسمت لها هى والقديس ··

والحقيقة ان سيمون لم يخلد الى الراحة طوال

اليومين ·· فقد راح برفقة أندرية جان يقوم بالعديد من خطوات هامة كان يزيد من صعوبة آدائها ما كان يتعين عليه أن يلجأ اليه من تنكر وتخفى ·· وهكذا استطاع أن يتفادى رجال الشرطة الذين كانوا ينتشرون فى كل مكان ساعين للامساك به ·· وهذا ما كان يجعلهم يعترفون فى نهاية كل جولة « بأن القديس قد اختفى » ·· وما كان رجل التأمين ليتبع سيمون دون اعتراضات كان يطلق بها من وقت لاخر ·· ولكن سيمون كان يتمكن من اقناعه فى كل مرة ·· وفى ساعة متأخرة من الليل كانت هناك باخرة تتجه الى الخليج بمحازاة الساحل الغربى : بل بالاحرى قارب كبير أعد خصيصا لمواجهة الامواج العاتية ·· وفى مكان التوجيه كان يجلس رجل منفرد بنفسه فى حين قبع زميله فى الجانب الاخر ·· وقال الاول متمتما :

ـ الحقيقة اننى ما عدت أميل لهذه القصة ·

ـ انك لا تفيدنى بجديد يا جان ·· والامر هنا لا يتعلق بنزهة خلوية ·· وانما يتعين علينا استرداد اللوحات ·· ولسوف يقوم رؤساؤك بتقديم التهنئة لك فيما بعد .

ـ وآسفاه اننى لست على ثقة من ذلك ·· وها أنا قد اتهمت بالتستر على المسروقات ·· ألا تعلم ذلك يا سيمون ؟

ـ وابتسم سيمون ·· وهو يلعن المظاهر الشكلية والتى يتعين عليه أن يمضى فى محاربتها حتى يتمكن من حسم الامر فى النهاية ·

ـ ألاتعلم يا صديقى بأن الذى يقوم بمساعدتك الان هو ممن يحملون صفة (الشرير) ·· ولذا فعليك ألا تحزن كثيرا لما يصيبك به ·

ـ وهل نسيت الثمن ؟ فمنذ أن قابلتك عند هذا المقهى وأنت لا تكف عن اكراهى على القيام بأمور غير مفهومة لى .. فيما عدا ذلك الذهب الذى طلبت الى اعاءه لك ··

والتزم الصمت ·· واتخذ سيمون مكانه قــرب هذا الصديق ·· وأشار بذراعه ناحية الافق :

ـ لتذهب ناحية هذه النقطة اللامعة ·· ولعل البحر لا يؤذيك ··

وعادا يلتزمان الصمت وقد أطلق كل منهما العنان لافكاره ·· وكان الضوء يقترب بطريقة ملموسة ·· وهكذا قطعا الثلاثة الاميال ·· وهمهم جان :

ـ ولم هذا المكان البعيد ؟ ·· ما الذى جعلك توافق على ذلك ؟

ـ لقد أخطأت · ولعلها أرادت بذلك أن تكون فى منأى عن اية اخطار .. وهل نسيت ايها الصديق بأنك تحمل بعض الدولارات فى جعبتك ·· ولتتصور ما قد يحدث لو أن احدى الدوريات اعترضت طريقنا ··

ـ أو ·· أننى لا أنسى ذلك الافتراض ··

وبعد مضى وقت غير طويل قال القديس :

ـ ان الصيد هناك .. والان جاء دورك .. ولتذهب يا صديقى القديم لارتداء ملابسك ··

وأمسك بالدفة ليحد من سرعة القارب قليلا ·· وقال له رجل التأمين :

ـ هل ترى ذلك ضروريا ؟ ·· اننى لاجده أمــرا غريبا ··

ـ وأنا أراه أيضا أمرا غريبا ، ولذا فان التنكر لا مفر عنه ولا تنس بأنك مليونير غريب الاطوار تلقى بالملايين من

الدولارات لاقتناء لوحات للاحتفاظ بها فى خزانتك .. ولهذا أيضا فاننى لجأت لاختيار هذا القارب بدلا من الحضور الى المكان فى يخت فاخر ·· وعليك يا صديقى اخفاء ما تتمتع به من أناقة ودع هذا لحين عودتك الى المدينة عندما يقوم رؤساؤك باعطائك ما تستحق من جائزة وعندئذ لك أن ترتدى ما يحلو لك ··

وأذعن جان للامر وراح يلبى بطلب سيمون ·· ولذا فقد ارتدى معطفا أسود اللون قام برفع ياقته ووضع على رأسه قبعة سوداء غير نظيفة كانت أطرافها تخفي عينيه وهز الشاب بأكتافه وهو يقول معلقا :

ـ أراهن أننى أشبه شبح الاوبرا ·· لا ·· لا أريد هذه ··

ـ اما هذه فقد كانت نظارات سوداء أعطاها له سيمون :

وقال الاخير باصرار :

ـ لا داعى لهذا الاعتراض . ولا تنس بأنك تقوم بدور المليونير م · س ولذا فلتضع هذه النظارات ··

ـ انها ستحول دون قيامى بالرؤية على بعد خطوتين ··

ـ وما أهمية ذلك ؟ ·· انك هنا فى هذا القارب لمجرد ايهام الجمهور ·· ولتذكر بأننا سنواجه مشاهدة واحدة ·· وان كانت على درجة عالية من الذكاء ··

وانحنى وأخذ يهدىء من سرعة القارب بعدما بات اليخت قريبا ·· وفيما عدا الاضواء التى تحدد مكانه لم يكن هناك سوى الضوء الذى ينبعث من احدى الكرات ·· وفجأة غمر المكان ضوء كشاف قوى راح يكشف عما حولهم ·· ـ هل حضرت يا سيمون ؟

وقال لها : أطفئى هذا الكشاف ٠٠ ولاداعى للكشف عن مكاننا ٠٠

وتلاشى الضوء وأخذ سيمون يتجه بالقارب حتى جانب اليخت ٠ وقام بربطه الى السلم وقفز الى السطح حيث كانت جريتا فى انتظاره ٠٠ وعلى بصيص الضوء الذى كان يتسرب من داخل الباخرة ابصر سيمون بامرأة وقد أمسكت بمسدس فى يدها ٠٠ وابتسم سيمون ٠٠ اننى أريد تعليلا لما أرى ٠٠ فها أنت تعود ادراجك بوقفة هذا الغريب وليس معك أوتا ٠٠

بعض الهدوء يا عزيزتى ٠٠ ولتدركى أننى أقدر طريقتك فى حماية وتأمين نفسك ٠٠

ولكن حذار أن تأتى بحركة غاضبة ٠٠ فلقد تضغطين على السلاح عند سماع الانباء السيئة ٠٠ لقد مات الربان شميدت ٠٠

ولم تحرك المرأة ساكنا ٠٠ ولم يتمكن ازاء الظلام أن يتطلع الى ملامحها الجميلة ورغم هذا أحس بأنها تحدجه بنظراتها ٠٠

وسألته بلهجة باردة : ـ الشرطة ؟

وتنهد وأضاف : ـ لا ٠٠ فلقد قمت بذلك بنفسى ٠٠ وكان الامر دفاعا عن النفس ٠٠ والان لتخبرينى صراحة يا جريتا : هل كان الرجل الغوريلا يسعى لقتلى بناء على أوامرك : وهل طلبت اليه الفتك بى وإلقاء جثتى للاسماك ؟

وارتعدت ٠٠ وأعادت يدها الى مكانها وهى تتمتم :

ـ هل حاول أوتا أن ٠٠ ؟ ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ اننى لم أدفعه لذلك يا سيمون ٠٠ ولكن كيف وقع ذلك ٠٠ ؟

وباتت جريتا وديعة غير ماضية فى تهديده ٠٠ وهذا

ما جعله يشعر بالارتياح ·· وقال لها وهو يحيط كتفيها بذراعيه :

ـ انها رواية فريدة · لقد كنا فى الطريق الى الساحل عندما حاول مداعبة شعرى بآلة حادة ·· وبعد ما تبادلنا وجهات النظر بالايدى بطبيعة الحال ·· فاذا بالرجل يدفع بى الى الماء ·· وهل كان بامكانى الذهاب وحدى ؟ ·· وهكذا ذهبنا سويا الى الاعماق ·· وكان على من يتقن السباحة أن يصعد الى السطح ثانية ··

وتوقف قليلا قبل أن يسألها :

ـ هل ينبغى أن أشعر بالندم ؟

وهزت أكتافها ·· وألقت بالسلاح فوق أحد المقاعد ·· وقالت :

ـ لقد كان أوتا مجنونا ·· وانني لسعيدة أنه فعل ذلك قبل قيامنا باقتسام المبلغ ··

لقد كان يحاول الخلاص منك يا عزيزى ·· وهكذا استحق الجزاء الذى نزل به ··

والان من الذى معك فى القارب ؟

ـ انه العميل ·

ـ واسمه ؟

ـ لكين م · س · خاصة وان الاسم قليل الاهمية ·· والامر الاساسى لدينا هو أن يكون حاضرا وأن يقوم بالدفع ·· وليتك تدركين كم عانيت لاقناعه ·· اذ كان يلح فى حضورك الى اليابسة .. واخيرا وافق على القدوم حتى اليخت ·· ورغم هذا فانه ذو مطالب ·· طبيعية ·· وهذا ما أراه يا عزيزتى ··

وراحت تتطلع اليه ·· وكانت فى بعض الاحيان

تختلس النظرات ناحية ذلك الرجل القابع فى مؤخرة القارب ·· وقد تخفى وجهه تحت تلك القبعة الكبيرة ·· وبدت جريتا مترددة ·· بينما أحس سيمون بالفرحة لادراكه قمة المغامرة .. والحقيقة انه قاتل لايام طويلة وحتى يتسنى له حضور هذا المشهد ··

وقالت جريتا : ـ وماذا يريد ؟

ـ انه لا يوافق على دفع المليونين من الدولارات الا بعد التأكد من قيامك بالوفاء بالتزامك ·· ولذا فانه يرغب أولا فى مشاهدة اللوحات ·· والان قد جاء دورك ·· وكان يتحدث بلا اكتراث كان من شأنه مضايقة المرأة ··

وأردفت تقول : ـ واذا مارفضت ؟

ـ فى هذه الحالة يرحل ومعه الذهب ·· هيا يا جريتا ولتقومى بجعله يشاهد لوحة أو اثنتين ..

ـ ممكن ·· ولكنى أنا الاخرى أرغب فى رؤية سبيكة أو اثنتين ··

ـ هذا صحيح ·· ولكن حذار يا عزيزتى ·· فانها ليست خفيفة الوزن كما قد يتهيأ لك ··

وتوارت لتعود بسرعة خاطفة وقد أمسكت بعلبة يغلفها غطاء غير قابل للبلل ·· ومن ناحية قام سيمون بالقاء السلم على جانب اليخت وما ليث أن عاد ومعه صندوق صغير ذى وزن ثقيل ·· وتمت المبادلة ·· ومضى اندريه على ضوء بطارية يتفحص اللوحتين للتأكد منهما واما جريتا فقد أزاحت الغطاء لتتأمل السبائك الذهبية .. ووقف القديس ينظر الى هذا المشهد الذى عمل على اعداده ··

وقال لها : ـ أتراك متشككة يا جريتا ·· انظرى الى

حسم الدمغة أمامك .. ولعلك لم تلاحظى أن الصندوق نفسه كان مختوما ..

وظلت جريتا ملتزمة الصمت وهى تقوم بدراسة الغلاف الذهب .. وفجأة ارتجفت وأمسكت باحدى السبائك وراحت تقلبها الكرة بعد الكرة وهى تقدر وزنها وما لبثت أن تمتمت :

ـ أنها ثقيلة .. ثقيلة لدرجة ..

ـ انها توازى ٢ كيلو .. وتقدر بأكثر من ألفى دولار .. وهذا الصندوق يحتوى على عشرة من هذه السبائك .. وهناك صناديق تشتمل على عشرين قطعة ذهبية ..

ـ هلا أعطيتنى مطواتك ..

وقال لها : ـ حالا ..

وبطرف السكين ضغطت على القطعة الذهبية .. وتطاير الشرر من المعدن النقى .. واذاء هذا المشهد قال لها سيمون :

ـ أتراك سعيدة يا عزيزتى ؟ .. وهل تمضى الصفقة بجدية ؟

ولم تقو على الاجابة وهى تتمعن فى تلك الثروة التى باتت بين ايديها .. واردف يقول : اننى ذاهب لرؤية ما اذا كان العميل هو الاخر راضيا ..

وانحنى فوق الحافة ليسأل الرجل :

ـ هل كل شىء على ما يرام أيها السيد ؟

وزمجر الرجل : نعم

وسألته جريتا بعد ما تمعنت في لهجته : أهو ألمانى ؟

ـ حتى اللحظة ·· فهو لا يريد أن تكشفى عنه فيما بعد ·· ولعله هو الاخر يأخذ بأسباب الحذر شأنك ·· والان ·· سوف أقوم بحمل بقية الثروة ·

وراح سيمون ينتقل بين القارب واليخت ·· متجها الى القارب خاوى اليدين وصاعدا الى السفينة وبين يديه أحد الصناديق الذى كان يسرع به الى الصالون حيث كانت جريتا تراقبه وتقوم بين الوقت والاخر بفتح أحد الصناديق للتأكد مما به من سبائك ·· وأخذت الصناديق تزداد ·· وجريتا تشعر بالفرحة التى لا تقدر لما تجد أمامها من ذهب لا حدود له ·· يا للانتصار الذى عملت على تحقيقه ·· حقا لقد كانت على صواب عندما أولت سيمون ثقتها ··

وتناولت بقية اللوحات وهى تقول له : خذ هذه هى اللوحات الباقية ··

وأشارت الى الصندوق الذى كان قد فرغ من صفه وهو يقول :

ـ أنه الاخير ·· وها أنت قد غدوت ثرية ·· يا عزيزتى ··

وعاد صوب السلم حاملا اللوحات تحت ذراعه ·· وراحت تتابعه بنظراتها · وفجأة أحست بالقلق وأخذت تتساءل عما قصده بالكلمة الاخيرة التى ألقى بها قبيل انصرافه ·· وبحركة عنيفة أغلقت باب الصالون باحكام وصعدت السلم على عجل ·· وكان سيمون فى القارب مع السيد م · س · وصاحت به :

ـ سيمون ·· اننى أريدك ··

وأذعن لما أرادت وكانت قد أضاءت أحد المصابيح فوق القنطرة · وهكذا تسنى له أن يراها بوضوح وان يلاحظ ما فى عينها من قلق واضطراب ·· وأمسكت به من ذراعه وهى تجذبه ناحيتها ··

ـ ان الرجل سيرحل يا سيمون ·· أليس كذلك ؟ ولكن ·· أنت يا سيمون ·· ؟

ـ اننى ذاهب الى المدينة مع السيد م . س .

ـ ولماذا ؟ . . فلتبق معى . . وما عاد امامنا من شيء لا يمكننا القيام به ··

ـ انك رائعة يا جريتا ·· بل أروع من عرفت من النساء ولتعلمى ان عرضك لا يقاوم ولكن . .

ـ ولكن ماذا ؟

ـ أنك تدركين طبيعتى ·· فاننى أهوى أن أمضى وفق ما اريد ·· ولا شك ان الاموال الوفيرة ستعمل على فقدانى ما أتمتع به من نشاط وخفة ·

وظلت تحاول دون جدوى ـ محاولة الحصول على ما يداعبها من أمل ·· وذلك لمجابهة العالم كله بمعاونة القديس ··

ـ سوف أعمل على أن تتغير أيها القديس ·· ولعلك ترى كيف تغيرت أنا نفسى ·· أننى أتوسل اليك أن تأتى معى ·

وتخلصت منها بطريقة هادئة :

ـ لا ·· ياقلبى ليس هذه المرة ·· وربما يحدث ذلك فى يوم ما ·· ومن يدرى فلعل اليوم الذى أتخلى فيه عن المغامرة قد اقترب · والان ·· عليك أن تبرقى لى عقب وصولك الى كولومبو ؟

وقفزت من مكانها وأمسكت به من ذراعيه حتى يمكنها ان تحدق به جيدا ؟

ــ كيف علمت وجهتى ؟ ..

ــ ان ذلك بديهى ياعزيزتى .. فهناك يدفعون ثمنا مرتفعا للحصول على الذهب النقى أكثر مما هو الحال فى أوروبا والولايات المتحدة .. ولعل جريتا لا تتخلى عن مثل هذه الفرصة ؟ وعليك بعد الخلاص من هذا الذهب .. واذا ما كنت تلحين فى طلبى أن تبعثى لى بنداء .

وهزت رأسها .. وتنهدت .. ثم قالت بنبرة جافة :

ــ كما تشاء .. ولسوف تندم على ذلك يا سيمون ..

ــ يحتمل ولكن اريد اسداء نصيحتين لك قبل الرحيل ..

ــ فلتقل ما عندك ..

ــ عليك بمراقبة طاقم اليخت والحفاظ على الصناديق .. فالامر قد يسيل لعاب البحارة ..

ــ لتطمئن .. خاصة واننى أعرف كيف أعامل اللصوص .. وما هى النصيحة الاخرى ؟

ــ لاتتأخرى فى المنطقة .. وكلما ابتعدت قبيل الفجر كان ذلك أفضل .. ولعلك تعلمين بأنه يوجد دائما من لا يعبأون بالقوانين ..

ــ سوف أقوم باصدار تعليماتى عقب ابتعاد قارب السيد م . ش ..

ــ أحسنت يا عزيزتى .. أنك لا تنسين صغيرة .. وداعا يا جريتا .

وعبر حافة اليخت ليهبط الى القارب . وكان آندريه

فى انتظار تلك اللحظة لينطلق ناحية المدينة •• وفى تلك اللحظة دويت محركات اليخت الذى راح يشق طريقه ناحية أعالى البحار وسيمون يتابعه بابصاره •

الخاتمة

تنهد آندريه جان بارتياح وهو يلقى بالنظارات الى البحر •• وراح سيمون يتطلع اليه وهو يخلع ملابسه التنكرية •• وقال :

ـ ان هناك تحسنا يطرأ علينا ••

وألقى القديس بنظرة أخرى على أضواء اليخت التى كانت تتوارى عند الافق ••

ـ لتتصور صديقتنا الرائعة وهى تشعر بمثل هذا الاحساس ؟ ••

وقال له جان : ـ بالنسبة للموقف الحالى •• وعلى كل فلقد قمنا باستعادة اللوحات ••

وقال له القديس : ـ نعم انك من رجال الاعمال •• وعن نفس فاننى لا أنبذ الاحلام خاصة وانها هيأت لى الكثير من انتصاراتى . . وهكذا وهذه الليلة . . لتتصور مشاعر المرأة عندما تواجه الحقيقة فى أحد الايام •

وضحك الاخر : ـ أنك تكاد تتألم لها ياسيد تمبلار •• وعلى كل فقد كان الامر من تدبيرك ولا شأن لى به •

ـ أمر مضيت فيه رغما عنك ••

ـ وعلى كل ما كان الامر سهلا •• خاصة وانه كان عسيرا علينا أن نحصل على سبائك فى خلال ثمان

وأربعين ساعة ومن ثم تقوم بطلائها بطبقة ذهبية ·· يلى ذلك القيام بوضع الاختام عليها ·· وهذا ما جعلنا نتكبد الكثير من المصروفات ··

وأراد سيمون أن يداعب الشاب :

ـ لا داعى للشكوى يا عزيزى ·· وهل تعتقد اننا أسرفنا ·· كيف ؟ ·· هل نسيت ما كانت شركات التأمين ستقوم بدفعه لاصحاب اللوحات ؟ ·· ولذكر ما حدث بالنسبة لفينار ؟ وعن نفسى فلقد عملت على استرجاعكم اللوحات متكبدين مبالغ ضئيلة لتنفيذ خطتنا ·· وهذا كل ما هنالك ··

وقال له آندريه جان مصححا :

ـ لا ·· لقد أهملت ما تستحق ··

واستند القديس الى الوراء على حافة القارب وهو يقول بتخاذل :

ـ ان الكلمة لا تروق لى ·· ان الامر عندى بمثابة مهمة ولا شىء غير هذا ·· وأما عما أستحقه فهو احساس بالراحة الان ·· خاصة وأن رؤساءك سيقومون بتهنئتك وأن هذه الشركات التى تضطلع بالتأمين لن تشهر افلاسها ، وهذا ما كان جدير بأن يحدث فى حالة اضطرارها لسداد التعويضات لاصحاب اللوحات ·

وقام القديس بدفع اللوحات الملقاة امامه بقدمه .. بينما كان جاك يتمسك بالصمت ·· وباتت أضواء اليخت غير منظورة ·· فى الوقت الذى لاحت فيه أنوار المدينة ·· وأشعل القديس سيجارة وأطلق ضحكة لا تخلو من مرارة :

ـ الحقيقة ياصديقى بأننى لا أحزن على مصير عزيزتى الرائعة ٠٠ بل أذرف الدمع على نفسى ٠٠

وسأله مندوب التأمين بدهشة ٠٠ ـ عليك ؟

ـ نعم ٠٠ فقد كنت أتمنى أن أكون الى جوار جريتا عندما تكتشف حقيقة سبائك الرصاص ٠٠

تمت

والى عودة أخرى مع القديس